نبذة مختصرة

عن فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى رحمه الله

○ ولد فضيلة الشيخ الإمام داعية الإسلام « محمد متولى الشعراوى في ١٦ من أبريل عام ١٩١١ بقرية دقادوس [1] مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية .

○ أتم حفظ القرآن الكريم بكتّاب القرية وعمره أحد عشر عامًا .

○ ألحقه والده رحمة اللّٰه تعالى عليه بالمعهد الابتدائى الأزهرى بالزقازيق عام ١٩٢٦م ، ثم التحق بالقسم الثانوى وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية عام ١٩٣٦م .

○ التحق رضى اللّٰه تعالى عنه بكلية اللغة العربية عام ١٩٣٧م وحصل على عالية اللغة العربية عام ١٩٤١م ، ثم حصل على العالمية وإجازة التدريس عام ١٩٤٣م .

---

(١) دقادوس : قرية قديمة جدًا تقع شرق النيل – فرع دمياط – وكانت تتبع الشرقية واسمها فى العصر الفرعونى « أتوكاتوس » وفى العصر القبطى « تاكادوس » والعربى « تقدوس » . و « دقادوس » هى الآن تابعة لمدينة ميت غمر محافظة الدقهلية=

○ بدأ حياته العملية مدرسًا بمعهد طنطا الأزهرى ، ثم معهد الإسكندرية ، ثم معهد الزقازيق ، ثم معهد طنطا مرة أخرى .

○ عمل مدرسًا للتفسير والحديث بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة عام ١٩٥١م .

○ وبعد عودته من المملكة العربية السعودية عين فضيلته وكيلًا لمعهد طنطا الأزهرى .

= اشتهرت قديمًا بصناعة تجليد الكتب وصناعة الحصير الريفى ، وتشتهر إحدى عائلاتها بتجبير وعلاج كسور العظام .

تضم أيضًا مساجد عديدة لشيوخ أجلاء بعضهم من آل بيت النبى ﷺ منها : مسجد محمد شمس الدين الباز ، ومسجد سيدى عبد الله الأنصارى ، ومسجد سيدى أبى بكر السطوحى – تلميذ السيد البدوى – ومسجد محمد نصر الدين الأربعين .

تناقلت الصحف أخبار دقادوس فى عام ١٩٣٠م عندما حدثت اضطرابات بها لامتناع أهلها عن التصويت فى الانتخابات المزورة ضد حزب الوفد والتى قام بها إسماعيل صدقى باشا وسقط فيها شهداء وقتل فيها ضباط وظلت تحت حصار قوات – الهجانة – فترة طويلة وقد طبق فيها حظر التجول من الغروب وحتى الصباح .

○ تولى رضى الله تعالى عنه منصب مدير الدعوة والدعوية بوزارة الأوقاف عام ١٩٦١م بمحافظة الغربية .

○ عين فضيلته مفتشًا للعلوم العربية بالأزهر الشريف عام ١٩٦٢م .

○ اختاره فضيلة الإمام الأكبر الشيخ « حسن مأمون » شيخ الأزهر مديرًا لمكتبه عام ١٩٦٤م .

○ ابتُعث رئيسًا لبعثة الأزهر الشريف فى الجزائر – بعد استقلالها – عام ١٩٦٦م وأشرف خلال مدة بعثته بالجزائر على وضع مناهج دراسية للغة العربية بها .

○ فى عام ١٩٧٠م عين أستاذًا زائرًا بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، ثم رئيسًا لقسم الدراسات العليا بها حتى عام ١٩٧٢م .

○ سطع نور فضيلة الشيخ الإمام « محمد متولى الشعراوى » كداعية إسلامى من طراز فريد فى عام ١٩٧٣ من خلال التليفزيون المصرى ثم العربى ، فكان نورًا على نور هدى الله به الخلق الكثير والجم الغفير وكانت إطلالته يوم الجمعة على محبيه ومريديه يوم عيد تتنزل فيه الرحمات ويباهى به الله تعالى ملائكته .

○ اختاره السيد « ممدوح سالم » رئيس مجلس وزراء مصر

الأسبق وزيرًا للأوقاف عام ١٩٧٦م .

- أُعيد اختيار فضيلته وزيرًا للأوقاف ووزير دولة لشئون الأزهر فى التشكيل الجديد لوزارة السيد « ممدوح سالم » عام ١٩٧٧م .
- بعد أن قدم الكثير والكثير ، لبلده ولأمته ، رأى فضيلته أن الأفضل له ولدعوته أن يكون حرًا فى البلاغ عن ربه فقدم استقالته من مهام الوزارة فى ١٩٧٨/١٠/١٥م .
- منحه الرئيس الراحل « محمد أنور السادات » وسام الاستحقاق عام ١٩٧٦م .
- بعد أن تحرر من قيود الوزارة انطلق رضى اللّٰه تعالى عنه فى مشارق الأرض ومغاربها داعيًا إلى اللّٰه تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ، وموضحًا سماحة الإسلام ووسطيته ، مفندًا لما يحاول البعض أن يلصقه بالإسلام من مفاهيم ضالة ، فقام بزيارة الهند عام ١٩٧٧ ، وباكستان عام ١٩٧٨ ، والمملكة المتحدة عام ١٩٧٧ ، والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٣ ، وكندا عام ١٩٨٣ ، وكثيرًا من البلاد الأوروبية والآسيوية . حاملًا فى قلبه كتاب اللّٰه تعالى وسنة رسوله ﷺ مؤديا واجب البلاغ عن ربه تعالى وعن رسوله ﷺ .
- عين عضواً بمجمع البحوث الإسلامية عام ١٩٨٠م .

- اختير عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٧م .
- منحه الرئيس « محمد حسنى مبارك وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٨٨م فى الاحتفال بيوم الدعاة .
- حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٨م .
- حصل على جائزة دبى الدولية لخدمة القرآن الكريم عام ١٩٧٧م .
- انتقل رضى اللّٰه تعالى عنه إلى رحمة اللّٰه تعالى فى يوم ١٩٩٨/٦/١٧ فى منزله العامر بالهرم ودفن بمسقط رأسه فى دقادوس ، وكان يومًا مشهودًا اتسعت فيه القرية لاحتضان ما يقرب من مليونى شخص يودعون شيخهم إلى مثواه الأخير ، وقد قام الأزهر الشريف بعمل سرادق بميدان الحسين لتلقى العزاء فيه ، وقد أمّ السرادق العديد من الوفود العربية والإسلامية والشعبية والرسمية ، وشارك الشعب المصرى بكل طوائفه فى تلقى العزاء ، فكان الكل يعزى الكل فى مصاب الأمة الفادح .
- مُنح قلادة الجمهورية رفيعة المستوى من السيد « محمد حسنى مبارك » رئيس جمهورية مصر العربية عام ١٩٩٨م لاسم فضيلته بعد انتقاله إلى رحمة اللّٰه تعالى .
- منح وسام الشيخ زايد من المرتبة الرفيعة .
- وخير ما قدمه فضيلة الشيخ الإمام « محمد متولى الشعراوى » لأمته العربية والإسلامية ، خواطره حول القرآن الكريم التى

تذاع فى جميع أنحاء العالم مرئية ومسموعة ومقروءة وعلى أقراص الـ CD .

○ تذخر المكتبة الإسلامية بالعديد من كتب فضيلته فى كافة فروع العلم والمعرفة ، وإن كانت جميعها تنهل من المورد الصافى والمعين الذى لا ينضب ألا وهو تفسير الشعراوى ، وإذا كان التفسير قد أُلقى فى شكل دروس وحلقات ، وطبع مسلسلًا حسب ترتيب القرآن العظيم ، فإن الكتب الأخرى هى تفسير موضوعى لآيات جمعت بعناية فائقة ، ورتبت ترتيبًا جيدًا ، وروجعت مراجعة علمية دقيقة ويجدر التنويه إلى أن فضيلة الإمام قبل رحيله لم يعهد إلا لمكتبة التراث الإسلامى ودار أخبار اليوم بطباعة كتبه وأقرت ذلك ورثته بعد رحيله ووافقت عليه .

لذا فإن كافة الكتب التى تصدر عن غير مكتبة التراث الإسلامى ودار أخبار اليوم هى كتب غير صحيحة وعلى حد تعبير الشيخ : إن أصابوا فى شىء فقد أخطأوا فى أشياء .

○○○

التوحيد مفتاح الجنة

بسم اللَّه والصلاة والسلام على رسوله .. أما بعد فإن اللَّه سبحانه وتعالى قد جعل للشهادة له وحده بالألوهية ثمنًا ، فلا يخلد فى النار من شهد أنه لا إله إلا اللَّه ، وإلا لما كان هناك فرق بين من آمن باللَّه ومن كفر به[1] ولذلك فإن المسلمين الذين رجحت سيئاتهم حسناتهم يعذبون فى النار

(١) قد ورد فى فضل شهادة التوحيد كثير من الأحاديث منها : عن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه قال : قلت : يا رسول اللَّه ﷺ من أسعَدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول اللَّه ﷺ : « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحدٌ أوّل مِنْكَ ، لما رأيت من حِرْصِكَ على الحديث . أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال : لا إله إلا اللَّه خالصًا من قِبَلِ نفسه »[1] . وعن أبى سعيد الخُدرى رضى اللَّه تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « قال موسى عليه السلام : يا رب علِّمْنى شيئًا أذكرك به وأدعوك به ، قال : قل : لا إله إلا اللَّه ، قال : يا رب كُلُّ=

(١) أخرجه البخارى [٦٥٧٠] ، وأحمد فى المسند [٣٧٣/٢] ، والنسائى فى الكبرى [٥٨٤٢/٤٢٦/١] .

= عبادك يقول هذا ، قال : قل لا إله إلا اللّه ، قال : إنما أُريدُ شيئًا تخُصُّنى به ، قال : يا موسى لو أن السموات السبع والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا اللّه فى كفة مالت بهم لا إله إلا اللّه »[1] .

وعن جابر رضى اللّه تعالى عنه عن النبى ﷺ قال : « أفضل الذكر لا إله إلا اللّه ، وأفضل الدعاء الحمد للّه »[2] .

وخرج الطبرانى بإسناده عن زيد بن أرقم رضى اللّه تعالى عنه : قال رسول اللّه ﷺ : « مَنْ قال : لا إله إلا اللّه مُخلصًا دخل الجنة » ، قيل وما إخلاصُهَا ؟ قال : « أن تَحْجُزَهُ عن محارم اللّه »[3] . وفى رواية « عما حرم اللّه عليه » . =

(١) رواه النسائى فى الكبرى [٦/٢٨٠/١٠٩٨٠] ، وابن حبان [٦٢١٨] ، والحاكم فى المستدرك [٥٢٨/١] وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الأرناؤوط : إسناده ضعيف .

(٢) رواه الترمذى [٣٣٨٣] ، وابن ماجه [٣٨٠٠] ، والنسائى فى الكبرى [٦/٢٠٨/١٠٦٦٧] ، وابن حبان [٨٤٦] ، والحاكم [٤٩٨/١] وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢٦٩٢] .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط [٢/١٣٦/١٢٥٧] .

= عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ما قال عبد : لا إله إلا اللّه قط مخلصًا إلا فُتِّحَتْ أبواب السماء حتى تُفضِيَ إلى العرش ما اجتُنِبَت الكبائر »[1] .

وعنه رضى اللّه تعالى عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « جددوا إيمانكم » قيل : يا رسول اللّه ، وكيف نُجدد إيماننا ؟ قال : « أكثروا من قول لا إله إلا اللّه »[2].

وعن يعلى بن شَداد قال : حدثنى أبى شداد بن أوس وعُبَادة ابن الصامت حاضرٌ يُصَدِّقه قال : كنا عند النبى ﷺ فقال : « هل فيكم غريب ؟ » يعنى أهل الكتاب ، قُلنا : لا يا رسول اللّه ، فأمر بغلق الباب ، وقال : « ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلّا اللّه » فرفعنا أيدينا ساعة ثم قال : « الحمد للّه اللهم بعثتنى بهذه الكلمة وأمرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة وإنك لا تُخلف الميعاد » ثم قال : « ألا أبشروا فإن اللّه قد غفر لكم »[3] . =

(١) رواه الترمذى [٣٥٩٠] وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢٨٣٩] .

(٢) رواه أحمد [٣٥٩/٢] ، والحاكم فى المستدرك [٢٥٦/٤] . وقال الأرناؤوط إسناده ضعيف .

(٣) رواه أحمد [١٢٤/٤] ، والحاكم فى المستدرك [٥٠١/١] . وقال الأرناؤوط إسناده ضعيف .

= وعن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنى لأعْلَمُ كلمةً لا يقولها عبد حَقًّا من قلبه إلا حُرِّم على النار ، فقال له عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : أنا أحدثك ما هى ، هى : كلمة الإخلاص التى ألزمها الله تبارك وتعالى محمدًا ﷺ وأصحابه ، وهى كلمة التقوى التى ألاص عليها نبى الله ﷺ عمه أبا طالب عند الموت ، شهادة أن لا إله إلا الله »(١) .

وخرج أحمد والبزار بإسنادهما عن مُعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله »(٢).

روى أحمد عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إنَّ نبى الله نوحًا ﷺ لما حَضَرَتْه الوفاة قال لابنه : إنى قاص عليك الوصية : آمُرُكَ باثنتين ، وأنهاك عن اثنتين ، آمرك بـ « لا إله إلا الله » ، فإن السماوات السبع ،=

(١) رواه أحمد فى المسند [٦٣/١] ، والحاكم فى المستدرك [٧٢/١] مختصرًا ، وقال : صحيح على شَرْطِهما . وقال الأرناؤوط : إسناده قوى .

(٢) رواه أحمد فى المسند [٢٤٢/٥] .

= والأرضين السبع ، لو وضعت فى كفة ، ووضعت « لا إله إلا الله » فى كفة ، لرجحت بهن ، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع ، كن حلقة مبهمة ، لقَصَمَتْهُنَّ « لا إله إلا الله » ، و « سبحان الله وبحمده » ، فإنها صلاة كل شيء ، وبها يُرزَق كل شيء ، وأنهاك عن الشرك والكبر » ، فقلت ، أو قيل : يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه ، فما الكبر ؟ فهو أن يكون لأحدنا حُلَّة يلبسُها ؟ قال : « لا » ، قال : فهو أن يكون لأحدنا نعلان حَسَنَتان لهما شِرَكَان حسنان ؟ قال : « لا » ، قال : « فهو أن يكون لأحدنا دابة يركبُها ؟ قال : « لا » ، قال : فهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه ؟ قال : « لا » ، قال : يا رسول الله ، فما الكبر ؟ قال : « سفه الحق ، وغمص الناس »(١) .

وروى عن ابن عُمَرَ رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قُبُورهم ولا مَنْشَرِهِم وكأنى بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن=

(١) رواه أحمد فى المسند [١٧٠/٢، ٢٢٥] وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح ، والحاكم فى المستدرك [٤٩/١] ، والبخارى فى الأدب المفرد [٥٤٨] . واللفظ له وصححه الألبانى فى الأدب المفرد [٤٢٦] ، والصحيحة [١٣٤] .

= رءوسهم ، ويقولون : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾(١).

وروى عن عبد الله بن عَمْرو رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ قال : « التسبيح نِصْفُ الميزان ، والحمد لله يملؤهُ ، ولا إله إلا الله ليس لها دُونَ الله حجاب حتى تخلُص إليه »(٢) .

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « من قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق . أدخله الله من أى أبواب الثمانية شاء »(٣) .

وعن أنس رضى الله تعالى عنه : أن النبى ﷺ - ومعاذ رديفه على الرَّحْلِ - قال : « يا مُعاذ بن جبل » قال لبيك يا رسول الله وسعديك ، ثالثًا . قال : « ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله صدقا من قلبه إلا حَرَّمَهُ الله على =

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله [٧٧] .

(٢) رواه الترمذى [٣٥١٨] ، وأحمد فى المسند [٣٧٢،٣٦٣/٥] .
وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى [٧٠٠] .

(٣) أخرجه البخارى [٣٤٣٥] ، ومسلم [٤٦/٢٨] .

= النار » . قال : يا رسول الله أفلا أُخبِرُ به الناس فيستبشروا ؟ قال : « إذًا يَتَّكِلُوا »(١) .

وعن رفاعة الجُهَنِّى رضى الله تعالىَ عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أَشْهَدُ عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله صدقًا من قلبه ثم يسدد إلا سلك فى الجنة »(٢) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يستخلص رجلًا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا ، كل سجل مثل مَدُّ البصر ، ثم يقول أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : أفلك عُذْرٌ ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول الله تعالى : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظُلْمَ عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها : أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، فيقول : احْضُرْ وزنك ، فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : إنك لا تُظلم ، قال فتوضع السجلات فى كفةٍ والبطاقة فى كفةٍ فطاشت السجلات وثقُلَت البطاقة =

(١) رواه البخارى [١٢٨] ، ومسلم [٥٣/٣٢] .

(٢) رواه أحمد فى المسند [١٦/٤] .

بقدر معاصيهم ، إن لم يتداركهم الله برحمته ويعفوا عنهم ، أو لم تنفعهم شفاعة الشافعين ، يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود] .

هذا الاستثناء الموجود فى الآيتين إنما وضع لمن آمنوا بالله ولمن عصوه ، فمعنى الاستثناء إخراج شىء مختلف عن شىء كان عاماً ، فيقال قام القوم إلا فلاناً ، أى : إننا أخرجنا فلاناً هذا الذى كان جالساً مع القوم لأنه لم يقم معهم ، بل خالفهم فيما فعلوا ، أو أننا نفينا عنه ما فعلوه ، و « إلا » إما أن تنفى شيئاً مثبتاً ، أو تخرج من منفى فيثبت ، فإذا قلنا : « قام

فلا يثقُل مع اسم الله شىء »[1] .

(١) رواه الترمذى [٢٦٣٩] ، وابن ماجه [٤٣٠٠] ، وأحمد فى المسند [٢١٣/٢] وابن حبان [٢٢٥] والحاكم [٦/١] ، وقال : صحيح على شرط مسلم . وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢١٢٧] .

القوم إلا زيداً » ، نفينا عن زيد القيام ، وإذا قلنا : « ما قام القوم إلا زيداً » ، أثبتنا لزيد القيام ، الله سبحانه وتعالى حين يتكلم عن خلقه فى الآخرة يقول : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٥] .

إذن .. قسم الله سبحانه وتعالى الخلق إلى قسمين شقى وسعيد ، والله يبين لنا ما هو حكم الشقى وما هو حكم السعيد ؟

فالشقاء نوعان : شقاء الكافر ، وهذا هو شقاء فى القمة . وشقاء المؤمن الذى أسرف على نفسه وعصى ربه .

إذن .. هناك نوعان من الشقاء ، والنوعان مختلفان فى الجزاء ، وإلا لما كان لكلمة التوحيد جزاؤها فى الآخرة .

والسعادة أيضاً قسمان : سعادة القمة لإنسان آمن وعمل العمل الصالح ، وسعادة لإنسان آمن وعمل بعض العمل وتهاون أو تكاسل عن البعض الآخر لا عن رغبة فى المعصية ولا عن جحود فى الطاعة . وهؤلاء يغفر الله لهم برحمته أو بشفاعة الشفعاء على ما هو مقرر فى كتب العقائد والإيمان .

والذين شقوا شقاء الكفر خالدون فى النار من أولها لا

يخرجون منها أبداً ولا يخفف عنهم العذاب ؛ ولا تنفعهم شفاعة الشافعين .

أما الذين شقوا شقاء عصيان فى التكليف ؛ يدخلون النار أولًا ، ليعذبوا بقدر ما عصوا ، ثم بعد ذلك يدخلون الجنة ، وهذا هو الاستثناء الذى ورد فى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ ، والاستثناء هنا يكون من آخر العذاب ، أى : إن الذين شقوا ، سواء بالكفر أو بالمعصية يبدأون العذاب معاً ، ثم لا يخلد العاصون فى النار ، بل تدركهم رحمة اللّٰه سبحانه وتعالى فيخرجهم منها فى الجزء الأخير من العذاب ويدخلهم الجنة .

إذن .. فالذين لم يدخلوا الجنة من أول يوم ودخلوا النار فترة أولية ، يكون الاستثناء فى الشقاء من آخر العذاب ، فلا يخلدون فى النار ، والاستثناء فى السعادة من أول دخول الجنة .

وكما قلنا : يقف المؤمنون باللّٰه تعالى الذين شقوا منهم والذين سعدوا معاً ، لأنهم جميعاً آمنوا بوحدانية اللّٰه ، ويسألهم اللّٰه سبحانه وتعالى عن إيمانهم فيقول الجميع إنهم مؤمنون صالحون ، حينئذٍ :

﴿ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [القلم] .

وإذا أردنا أن نفهم معنى هاتين الآيتين الكريمتين فلابد أن نعرف معنى : ﴿ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ ، كان العرب يستخدمون الكشف عن الساق تعبيراً عن الجد وأنه لا هزل فى هذا الموقف ، ذلك لأن الإنسان إذا أراد أن يعمل عملًا جاداً في مشقة ، فإنه يرفع الثوب ويكشف عن ساقيه حتى لا يعوقهما الثوب عن الحركة الجادة التى يتطلبها العمل ، ولذلك يعبر بالنسبة للمواقف الجادة بالكشف عن الساق ، يقال ساعتها كشفت عن ساقى وفعلت كذا ، وموقف القيامة هذا الذى نتحدث عنه هو موقف فى غاية الجد ، فمعنى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ (١) أى ساعة يأتى الحسم والجد ، حين

(١) قال ابن كثير : قال ابن أبى نجيح عن مجاهد ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ قال شدة الأمر ، وقال ابن عباس هى أشد ساعة تكون فى يوم القيامة .

وقال ابن جرير عن مجاهد : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ قال : شدة الأمر وجده .

يقول الجميع عبدنا وما عصينا ، يقال لهم : اسجدوا للَّه فيسجد المؤمنون الطائعون وحدهم ، أما المؤمنون الذين عصوا فتكون ظهورهم كألواح من الخشب غير قابلة للانثناء فلا يستطيعون السجود ، ويحاولون السجود جاهدين ولكنهم لا يقدرون ، حينئذ يقال لهم : أنتم عصيتم ، ولذلك لم تُمكنوا من السجود ، فيحاولون المجادلة فيقال لهم : هل ترضون بشهداء عليكم ؟ فيلتفت هؤلاء يميناً ويساراً فلا يجدون أحداً

وقال العوفى عن ابن عباس قوله : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ يقول : حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال ، وكشفه دخول الآخرة ، وكشف الأمر عنه .

وكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس . أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير . ثم قال حدثنى أبو زيد عمر بن شيبة ، حدثنا هارون بن عمر المخزومى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو سعيد روح بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن أبى بردة بن أبى موسى عن أبيه عن النبى ﷺ قال : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ يعنى عن نور عظيم يخرون له سجدًا . ورواه أبو يعلى عن القاسم بن يحيى عن الوليد بن مسلم به وفيه رجل مبهم . واللَّه أعلم . تفسير ابن كثير [٤٠٨/٤] .

من الذين سيشهدون ، فيطمعون ! ويقولون : نعم نقبل الشهادة ، وهم يحسبون بذلك أنهم ناجون ، وإذا بجلودهم وأيديهم وأرجلهم وألسنتهم تشهد عليهم ، وذلك قول اللَّه تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ... ﴿٢١﴾ ﴾ [فصلت] .

حينئذ يحس هؤلاء العصاة بالخزى ، ويصف الحق سبحانه وتعالى حالتهم فيقول تعالى : ﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ .

وهؤلاء لم يكونوا محافظين على الصلاة وغير مؤدين لها فى أوقاتها يقول تعالى : ﴿ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾ .

أى : كانوا يدعون إلى الصلاة ، إما بسماعهم الأذان ، أو بتذكيرهم بمواقيت الصلاة ، وكانوا يقدرون على السجود ، ولكنهم فرطوا ، وضيعوا ، ولم يواظبوا على صلاتهم .

○○○

ليس من مفتاح إلا وله أسنان

ذكر البخارى فى صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له : « أليس مفتاح الجنة لا إله إلا اللّه ؟ قال : بلى ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح » (1) .

وفى المسند من حديث معاذ بن جبل قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم : « ألا أدلك على باب من أبواب الجنة ؟ قلت : بلى ، قال : لا حول ولا قوة إلا باللّه » .

وقد جعل اللّه سبحانه لكل مطلوب مفتاحًا يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور ، كما قال صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم : مفتاح الصلاة الطهور ، ومفتاح الحج الإحرام ، ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد ، ومفتاح العلم حسن السؤال ، وحسن الإصغاء ، ومفتاح النصر والظفر الصبر ، ومفتاح المزيد الشكر ، ومفتاح الولاية المحبة والذكر ، ومفتاح الفلاح التقـوى ، ومفتاح التـوفيق الرغبـة والرهـبة ، =

(1) ذكره البخارى فى الجنائز ، باب فى الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا اللّه [13/3] .

= ومفتاح الإجـابة الـدعاء ، ومفتـاح الرغـبة فى الآخـرة الـزهد فى الدنيا ، ومفتاح الإيمان التفكير فيما دعا اللّه عباده إلى التفكير فيه ، ومفتاح الدخول على اللّه إسلام القلب وسلامته له ، والإخلاص له فى الحب والبغض والفعل والترك ، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب ، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان فى عبادة الخالق والسعى فى نفع عبيده ، ومفتاح الرزق السعى مع الاستغفار والتقوى ، ومفتاح العز طاعة اللّه ورسوله ، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ، ومفتاح كل خير الرغبة فى اللّه والدار الآخرة ، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل » .

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر ، لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه . فإن اللّه سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحًا وبابًا يدخل منه إليه كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث اللّه به رسوله ، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحًا للنار ، وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم ، وجعل الغى مفتاح الزنا ، وجعل إطلاق النظر فى الصور مفتاح الطلب والعشق ، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان وجعل المعاصى مفتاح=

= الكفر ، وجعل الكذب مفتاح النفاق ، وجعل الشح والحرص مفتاح البخل ، وقطيعة الرحم ، وأخذ المال من غير حله ، وجعل الإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة .
وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما فى نفسه ، وما فى الوجود من الخير والشر ، فينبغى للعبد أن يعتنى كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له ، والله من وراء توفيقه وعدله ، له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (١) .

○○○

(١) حادى الأرواح [الباب الرابع عشر ص ٦٦- ٦٧] .

ذبح الموت بين الجنة والنار

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم : ٣٩] .
وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون وينظرون ، ويقولون : نعم هذا الموت ، قال : ويقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيُذبح ، قال : ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، قال : ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .
وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « يُدخل الله أهل الجنة الجنة ، ويدخل أهل النار النار ، ثم =

(١) أخرجه مسلم [٢٨٤٩/٤٠] .

= يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه »[1] .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار ، أُتِيَ بالموت حتى يُجعل بين النار والجنة ، ثم ينادى منادٍ : يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحًا ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم »[2] .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ... فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، قال أُتِيَ بالموت مُلَبَّباً فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، فيطلعُون خائفين ، ثم يقال : يا أهل النار ، فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة ، فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء : قد عرفناه ، هو الموت الذى وُكِّل بنا ، فيُضجَع فيُذبَح ذبحًا =

(١) أخرجه البخارى [٦٥٤٤] ، ومسلم [٤٢/٢٨٥٠] .

(٢) أخرجه مسلم [٢٨٥٠/ ٤٣] .

= على السور الذى بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لا موت ، ويا أهل النار خلود لا موت »[1] .

○ ○ ○

(١) جزء من حديث رواه الترمذى [٢٥٥٧] ، والنسائى فى الكبرى [١١٥٦٩/٤٨١/٦] وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢٠٧٢] .

دخول الجنة برحمة الله تعالى

يقول رسول الله ﷺ : « سددوا وقاربوا وأبشروا ، فإنه لا يُدخل أحد الجنة عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ؛ إلا أن يتغمدنى الله بمغفرة ورحمة » (١).

(١) أخرجه البخارى [٦٤٦٧] عن عائشة رضى الله تعالى عنها . وفى [٦٤٦٣] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لن ينجى أحدًا منكم عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى الله برحمة ، سددوا وقاربوا ، واغدوا وروحوا وشىء من الدلجة ، والقصد .. القصد تبلغوا » .

قال الحافظ فى الفتح : ومعنى قوله : ينجى أى : يخلص . والنجاة من الشىء : التخلص منه .

قال ابن بطال فى الجمع بين هذا الحديث وقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ما محصله أن تحمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال ، فإن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال ، وأن يحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها . ثم أورد =

= على هذا الجواب قوله تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٣٢] . فصرح بأن دخول الجنة أيضًا بالأعمال ، وأجاب بأنه لفظ مجمل بينه الحديث ، والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون ، وليس المراد بذلك أصل الدخول .

ثم قال : ويجوز أن يكون الحديث مفسرًا للآية ، والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم وتفضله عليكم ، لأن اقتسام منازل الجنة برحمته ، وكذا أصل دخول الجنة هو برحمته حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك ، ولا يخلو شىء من مجازاته لعباده من رحمته وفضله ، وقد تفضل عليهم ابتداء بإيجادهم ثم برزقهم ثم بتعليمهم .

وقال عياض : طريق الجمع أن الحديث فسر ما أجمل فى الآية ، فذكر نحوًا من كلام ابن بطال الأخير وأن من رحمة الله توفيقه للعمل وهدايته للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله ، وإنما هو بفضل الله وبرحمته .

وقال ابن الجوزى : يتحصل عن ذلك أربعة أجوبة :

الأول : أن التوفيق للعمل من رحمة الله ، ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ولا الطاعة التى يحصل بها النجاة .=

= **الثـانى** : أن منافع العبد لسيده فعمله مستحق لمولاه ، فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله .

الثالث : جاء فى بعض الأحاديث أن نفس دخول الجنة برحمة اللّه ، واقتسام الدرجات بالأعمال .

الرابـع : أن أعمال الطاعات كانت فى زمن يسير ، والثواب لا ينفد ، فالإنعام الذى لا ينفد فى جزاء ما ينفد بالفضل لا بمقابلة الأعمال .

وقال الكرمانى : الباء فى قوله : ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ليس للسببية بل للإلصاق أو المصاحبة ، أى أورثتموها ملابسة أو مصاحبة ، أو للمقابلة نحو : أعطيت الشاة بالدرهم ، وبهذا الأخير جزم الشيخ جمال الدين بن هشام فى « المغنى » فسبق إليه فقال : ترد الباء للمقابلة وهى الداخلة على الأعواض كاشتريته بألف ، ومنه : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وإنما لم تقدر هنا للسببية كما قالت المعتزلة وكما قال الجميع فى « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله » لأن المعطى بعوض قد يعطى مجانًا بخلاف المسبب فلا يوجد بدون سبب .

قال : وعلى ذلك ينتفى التعارض بين الآية والحديث .

قلت : سبقه إلى ذلك ابن القيم فقال فى كتاب =

= « مفتاح دار السعادة » : الباء المقتضية للدخول غير الباء الماضية ، فالأولى السببية الدالة على أن الأعمال سبب الدخول المقتضية له كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها ، والثانية بالمعاوضة نحو اشتريت منه بكذا فأخبر أن دخول الجنة ليس فى مقابلة عمل أحد ، وأنه لولا رحمة اللّه لعبده لما أدخله الجنة لأن العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب بمجرده دخول الجنة ولا أن يكون عوضًا لها ، لأنه ولو وقع على الوجه الذى يحبه اللّه لا يقاوم نعمة اللّه ، بل جميع العمل لا يوازى نعمة واحدة ، فتبقى سائر نعمه مقتضية لشكرها وهو لم يوفها حق شكرها ، فلو عذبه فى هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم ، وإذا رحمه فى هذه الحالة كانت رحمته خيرًا من عمله كما فى حديث أُبى بن كعب الذى أخرجه أبو داود وابن ماجه فى ذكر القدر ففيه :

« لو أن اللّه عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم » الحديث(١) . =

(١) رواه أبو داود [٤٦٩٩] ، وابن ماجه [٧٧] ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٣٩٣٢] ، ورواه الطبرانـى =

= قال : وهذا فصل الخطاب مع الجبرية الذين أنكروا أن تكون الأعمال سببًا فى دخول الجنة من كل وجه ، والقدرية الذين زعموا أن الجنة عوض العمل وأنها ثمنه وأن دخولها بمحض الأعمال ، والحديث يبطل دعوة الطائفتين والله أعلم .

قلت : وجوز الكرمانى أيضًا أن يكون المراد أن الدخول ليس بالعمل ، والإدخال المستفاد من الإرث بالعمل ، وهذا إن استقام فى الجواب عن قوله تعالى : ﴿ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ لم يستقم فى قوله تعالى : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ويظهر لى فى الجمع بين الآية والحديث =

= فى الكبير [٤٩٤٠/١٦٠/٥] من حديث زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو أن الله عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم ولو كان جبل أُحد ومثل أُحد ذهبًا تنفقه فى سبيل الله ما تقبل الله منك حتى تؤمن بالقدر كله ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك . وإنك إن مت على غيرها دخلت النار » .

= جواب آخر وهو أن يحمل الحديث على أن العمل من حيث هو عمل لا يستفيد به العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولًا . وإذا كان كذلك فأمر القول إلى الله تعالى ، وإنما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه ، وعلى هذا فمعنى قوله : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أى تعملونه من العمل المقبول ، ولا يضر بعد هذا أن تكون الباء للمصاحبة أو للإلصاق أو المقابلة ، ولا يلزم من ذلك أن تكون سببية . ثم رأيت النووى جزم بأن ظاهر الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ، والجمع بينهما وبين الحديث أن التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها إنما هو برحمة الله وفضله ، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل ، وهو مراد الحديث ، ويصح أنه دخل بسبب العمل وهو من رحمة الله تعالى . ورد الكرمانى الأخير بأنه خلاف صريح الحديث .

وقال المازرى : ذهب أهل السنة إلى أن إثابة الله تعالى من أطاعه بفضل منه ، وكذلك انتقامه ممن عصاه بعدل منه ، ولا يثبت واحد منهما إلا بالسمع ، وله سبحانه وتعالى أن يعذب الطائع وينعم العاصى ، ولكنه أخبر أنه لا يفعل ذلك وخبره صدق لا خلف فيه . وهذا الحديث يقوى مقالتهم ويرد على=

لسائل أن يسأل إذا كانت هذه هى الحقيقة فلماذا الحساب ؟ وإذا كان الإنسان لا يدخل الجنة بعمله فلماذا يكون العمل الصالح شرطًا لدخول الجنة ؟ ألم يكن من المنطقى أن اللّٰه سبحانه وتعالى يدخل من يشاء الجنة برحمته وكفى ؟

نقول للذين يثيرون مثل هذا الكلام : إنكم لم تفهموا معنى حديث رسول اللّٰه ﷺ ، ذلك أن الأعمال الصالحة عند اللّٰه سبحانه وتعالى لا تزيد من ملكه شيئًا ، والعمل الصالح مهما بلغ لا يمكن أن يتكافأ مع النعم التى أوجدها اللّٰه سبحانه وتعالى ، فالنعم الموجودة فى هذا الكون ، والنعم التى ينعم بها اللّٰه علينا لا يمكن أن تتساوى معها الأعمال الصالحة فى الدنيا مهما كانت .

ولقد قيل : إن هناك عبدًا من عباد اللّٰه كان يعبد اللّٰه ليلًا ونهارًا ، ولا يكف عن الصلاة والتسبيح والركوع والسجود ، حتى إنه لما جاء أجله قُبض وهو ساجد ، وعندما جاء الحساب

= المعتزلة حيث أثبتوا بعقولهم أعواض الأعمال ، ولهم فى ذلك خبط كثير وتفصل طويل .

فتح البارى [١٣/٨٥-٨٦] .

يوم القيامة قيل له : ادخل الجنة برحمة اللّٰه ، فقال : بل أدخل الجنة بعملى ، فجاءوا بالميزان ووضعت فيه كل الأعمال الصالحة للرجل العابد ، ووضع فى الكفة الأخرى نعمة النظر وحدها ، فرجحت نعمة النظر ، فقال الرجل : ادخل الجنة برحمة اللّٰه .

إذن .. فالعمل الصالح الذى يقوم به الإنسان فى الدنيا لا يتساوى مع نعمة واحدة من نعم اللّٰه تعالى عليه .

والإنسان المؤمن عندما يتبع منهج اللّٰه فإنه لا يعمل عملًا ينفع اللّٰه جل جلاله ، ولكن اتباع منهج اللّٰه هو الذى ينفع الإنسان ، يعطيه الحياة الطيبة فى الدنيا ، ويمنع عنه كثيرًا من الشرور التى قد يتعرض لها إذا لم يتبع المنهج ، فكما قلنا من قبل : إن المنهج يحمى الإنسان وينقله من حياة الغابة إلى الحياة الآمنة المطمئنة .

تمامًا كما تقول لابنك : « ذاكر حتى تنجح » ، فإذا نجحت فلك مكافأة ، فالمذاكرة لا تفيد الأب ، ولكنها تفيد الابن فى مستقبله ، وتزيد أمامه فرص الحياة لكى يحيا ، وهو قادر على أن يكسب قوته ، وقادر على أن يتبوأ فى المجتمع إلى أعلى المراكز .

إذن .. فالمذاكرة فائدتها للابن ، وليست نفعًا للأب ، فإذا أعطاه الأب مكافأة على نجاحه ، فذلك فضل من الأب على ابنه .

واللَّه سبحانه وتعالى حين وضع لنا المنهج .. لم يضعه ليحقق لذاته تبارك وتعالى نفعًا ، فأنت حين تصلى صلاتك لا تفيد اللَّه ، وإنما تعود عليك بالنفع بأنك تنضبط انضباط عبادة ، حينئذٍ يكون اللَّه تعالى معك ، يعينك وقت الشدة ، ويسترك وقت الفضيحة ، ويرزقك وقت العسر[1] .

إذن .. فهذه الصلاة التى أديتها فتحت الباب أمامك

(١) أخرج البخارى [٦٥٠٢] عن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إن اللَّه تعالى قال : من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذ بى لأعيذنه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » .

للوقوف بين يدى اللَّه سبحانه وتعالى فطلبت منه ، ورجوته وكنت فى حضرته العلية .

إذن .. من المستفيد ؟! بالطبع أنت .

وإذا كان الأمر كذلك ، وكان العمل الصالح لا ينفع إلا صاحبه ، وكان الموقف يوم القيامة أن كل الأعمال الصالحة لا تساوى نعمة واحدة من نعم اللَّه تعالى ؛ فلماذا الحساب ؟

نقول : لأن اللَّه سبحانه وتعالى جعل هذه الأعمال الصالحة شرطًا لفضله ورحمته ، فأنت إذا لم تقدم هذا العمل الصالح فى الدنيا ، فإنك لا تستحق أن تكون ضمن من يستحقون فضل اللَّه ورحمته فى الآخرة ، ولذلك فلكى تحصل على الفضل ، ولكى تستحق الرحمة ، لا بد أن تقدم العمل الصالح أولًا ، فإذا لم تقدمه مُنع عنك هذا كله ، وهذا هو معنى حديث رسول اللَّه ﷺ : « لا يدخل أحد الجنة عمله »[1] أى : إن هذه الأعمال الصالحة عندما توضع فى الميزان لا تدخل صاحبها الجنة ، ولكنها شرط لكى يشمله اللَّه برحمته ، فيدخل الجنة ويفيض اللَّه من فضله عليه ما يشاء .

(١) سبق تخريجه .

… لا بد أن نتنبه إلى أن الله سبحانه وتعالى قد بين لنا هذا الفضل فى الدنيا ، فجعل الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، وجعل السيئة بمثلها ، ووضع معها المغفرة والرحمة والتوبة ليمحو منها الكثير ، ولو أننا كنا نحاسب بعدل اللَّه وحده ، لكانت السيئة تساوى الحسنة ولما كانت مغفرة اللَّه ورحمته لتمحو السيئات وتزيلها .

ولكن اللَّه سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا ونحن فى الدنيا إلى أنه يعاملنا بفضله ، ولو عاملنا بعدله ، لهلك كل من فى الأرض بذنوبهم ، مصداقًا لقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ [فاطر : ٤٥] .

إذن .. فالحق سبحانه وتعالى ونحن فى الدنيا يعاملنا بالفضل ، فإذا كنا فى الآخرة كان فضله أعم وأشمل ، فكل نعمة من نعم اللَّه فى الجنة هى من فضل اللَّه علينا ، وليست حقًّا مكتسبًا لنا .

وإذا كان رسول اللَّه ﷺ وهو الأسوة فى الإيمان ، والقدوة فى العمل الصالح ، والمعصوم من اللَّه سبحانه وتعالى يقول

فى الحديث : « حتى ولا أنا » ، فهو تشبيه يريد رسول اللَّه ﷺ أن يعطيه لنا لنتأكد أنه مهما بلغت الأعمال الصالحة ، فالإنسان محتاج لفضل اللَّه ليدخل الجنة ، فرسول اللَّه ﷺ أكثرنا عملًا ، وأعظمنا طاعة ، وأقربنا إلى اللَّه سبحانه وتعالى ، فإذا كان الرسول بكل هذه الصفات سيدخل الجنة برحمة اللَّه ، فمن باب أولى ألا يدعى عبد أو يقول أنه سيدخل الجنة بعمله ، بل كلنا محتاجون لفضل اللَّه ورحمته ، ذلك الفضل الذى يمحو السيئات ، ويضاعف الحسنات أضعافًا مضاعفة [1] .

---

(١) وإلحاقًا لما ذكره الحافظ فى الفتح آنفًا عن ابن القيم وجدت له فصل فى حادى الأرواح يقول فيه : وههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة اللَّه تعالى وليس عمل العبد مستقلًّا بدخولها وإن كان سببًا . ولهذا أثبت اللَّه تعالى دخولها بالأعمال فى قوله : ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٤٣/٧] ونفى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم دخولها بالأعمال بقوله : « **لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله** » [1] .
ولا تنافى بين الأمرين لوجهين : =

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى [٦٤٦٤] ، [٦٤٦٧] ومسلم [٧٥/٢٨١٦] وبلفظ « لن يُدْخِلَ أحدَكم عمَلُه الجنة » .

= أحدهما ما ذكره سفيان وغيره قال : كانوا يقولون : النجاة من النار بعفو الله ، ودخول الجنة برحمته ، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال .

والثانى : أن الباء التى نفت الدخول هى باء المعاوضة التى يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر ، والباء التى أثبتت الدخول هى باء السببية التى تقتضى سببية ما دخلت عليه لغيره وإن لم يكن مستقلًا بحصوله .

وقد جمع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين الأمرين بقوله : « سددوا وقاربوا وأبشروا ، واعلموا أن أحدًا منكم لن ينجو بعمله . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته » . (١)

ومن عرف الله تعالى وشهد مشهد حقه عليه ومشهد تقصيره وذنوبه ، وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به . والله سبحانه وتعالى المستعان .

(١) أخرج البخارى [٦٤٦٤] [٦٤٦٧] ومسلم [٧٦/٢٨١٦] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قاربوا وسددوا ، واعلموا أنه لن ينجو أحدٌ منكم بعمله » قالوا : يا رسول الله ، ولا أنت ؟ قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل » .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤١] .

قوله تعالى : ﴿ أَنشَأَ ﴾ أى أوجد على إبداع لم يسبق له مثيل ، فلم يكن هناك نماذج أو وسائل إيضاح لمساعدة الله سبحانه وتعالى ، وإنما ابتدأها سبحانه على غير مثال سابق ؛ لأنه لا يوجد خالق سواه . وهو سبحانه الخالق البارئ المصور ، لا إله غيره ولا رب سواه (١) .

(١) وعن وجودها الآن ومكانها قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝ ﴾ [النجم] . وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء وسميت بذلك لأنها ينتهى إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يصعد إليه فيقبض منها .

وقال تعالى : ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢] . =

وكلمة ﴿ جَنَّٰتٍ ﴾ تؤدى ما نعرفه من المكان المحدد الذى يجمع صنوف الزروع والثمار مما نقتات ، وتسمى جنة وتسمى جنات ؛ لأن المادة كلها كما هو معلوم تدل على الستر وعلى التغطية .

والجنة هى المكان الممتلىء بالزرع والثمار وتعلو الأشجار فيه وتكثف وتلتف أغصانها وفروعها بحيث تستر من يكون بداخلها ، وتستر المكان أيضاً عن بقية الأمكنة ؛ لأنه لا حاجة له إلى الأمكنة الأخرى ؛ ففى الجنة كل مقومات الحياة من غذاء ، وفاكهة ومرعى ، وماء ، وخضرة ، ومتعة ، وفيها من كل شىء . كما نسمى البيت العظيم البناء الذى يشتمل على كل المرافق « قصراً » لأنه قصرك عن أى مكان سواه ؛ لأن فيه الأشياء التى تحتاج إليها كلها ، فلا تحتاج إلى شىء معه .

= قال ابن أبى نجيح عن مجاهد : هو الجنة .

وفى الصحيحين من حديث أنس فى قصة الإسراء وفى آخره : « ثم انطلق بى جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ما هى ؟ قال : ثم دخلت الجنة فإذا فيها =

= جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك »[١] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى . إن كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ، فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى إليه يوم القيامة »[٢] .

وعن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى جنازة رجل من الأنصار - فذكر الحديث - ، وفيه : « فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة ، قال : فيأتيه من رَوْحها وطيبها »[٣] . =

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى [٣٤٩] ولفظه « حبايل » ومسلم [٢٦٣/١٦٣] .

(٢) أخرجه البخارى [١٣٧٩] ، ومسلم [٦٥/٢٨٦٦] ، والترمذى [١٠٧٢] ، والنسائى فى المجتبى [١٠٧/٤/ ٢٠٧١، ٢٠٧٢] ، وأحمد فى المسند [١١٣/٢] .

(٣) جزء من حديث رواه أحمد [٢٨٧/٤] ، والحاكم =

= وعن أنس بن مالك رضى اللّٰه تعالى عنه قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قَرْعَ نِعَالِهم ، قال : يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد اللّٰه ورسوله ، قال : فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك اللّٰه به مقعدًا من الجنة ، قال : نبى اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : فيراهما جميعًا »[1] .

وعن عبد اللّٰه بن عباس رضى اللّٰه تعالى عنهما قال : انخسفت الشمس على عهد رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فذكر الحديث وفيه : « فقال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللّٰه لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، =

= [٣٧/١-٣٩] ، وأبو داود [٤٧٥٣] ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٣٩٧٩] .

(١) أخرجه البخارى [١٣٣٨،١٣٧٤] ومسلم [٢٨٧٠/٧٠] واللفظ له ، والنسائى فى المجتبى [٩٧/٤/٢٠٥٠،٢٠٥١] ، وأحمد فى المسند [١٢٦/٣] .

= فإذا رأيتم ذلك فاذكروا اللّٰه ، قالوا : يا رسول اللّٰه رأيناك تناولت شيئًا فى مقامك ثم رأيناك تَكَعْكَعْتَ ، فقال ﷺ : إنى رأيت الجنة فتناولت عنقودًا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء ، قالوا : بم يا رسول اللّٰه ؟ قال : بكفرهن . قيل : أيكفرن باللّٰه ؟ قال : يَكفُرن العشير ويكفُرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا قالت : ما رأيت منك خيراً قط »[1] .

وعن جابر رضى اللّٰه تعالى عنه قال ، قال رسول اللّٰه ﷺ : « ... ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هذه ، لقد جيء بالنار وذلك حين رأيتمونى تأخرت مخافة أن يصيبنى من لفحها ، وحتى رأيت فيها صاحب المِحْجَن يجر قُصْبَه فى النار ، وكان يسرق الحاج بمحجنه ، فإن فُطن له قال : إنما تعلق بمحجنى وإن غُفل عنه ذهب به ، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التى ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل =

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى [١٠٥٢] واللفظ له ، ومسلم [١٧/٩٠٧] ، والنسائى فى المجتبى [١٤٩/٣/٧٤٩٦] .

= من خشاش الأرض حتى ماتت جوعًا ، ثم جيء بالجنة وذلكم حين رأيتمونى تقدمت حتى قمت فى مقامى ، ولقد مددت يدى وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لى أن لا أفعل . فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هذه »[1] .

عن كعب بن مالك رضى اللَّه تعالى عنه قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « إنما نسمة المؤمن طائر يعلُق فى شجر الجنة حتى يرجع إلى جسده يوم يبعث »[2] .

وعن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « لما خلق اللَّه تعالى الجنة والنار ، أرسل جبريل إلى الجنة فقال : انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد اللَّه لأهلها فيها ، قال فرجع إليه ، قال فوعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر بها فحفت بالمكاره ، فقال : ارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال : فرجع إليها ، فإذا هى قد حفت=

---

(1) جزء من حديث أخرجه مسلم [١٠/٩٠٤] .

(2) رواه ابن ماجه [٤٢٧١] ، وصححه الألبانى [٣٤٤٦] ، وأحمد فى المسند [٤٥٥/٣، ٤٥٦] ، والترمذى [١٦٤١] ، والنسائى [٢٠٧٣/١٠٨/٤] وابن حبان فى صحيحه [٤٦٥٧] .

= بالمكاره ، فرجع إليه فقال : وعزتك لقد خفت ألا يدخلها أحد ، قال : اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها . فإذا هى يركب بعضها بعضًا ، فرجع إليه فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فأمر بها فحفت بالشهوات . فقال ارجع إليها فرجع إليها . فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها »[1] .

وعن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه : « حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره »[2] .

وعن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه عن النبى صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « تَحَاجَّتِ النار والجنة . فقالت النار : أوثِرْتُ بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : فما لى لا يدخلنى إلا ضُعفاءُ الناس وسَقَطُهُم وعَجَزُهُم . فقال اللَّه للجنة : أنت رحمتى ، أرحم بك من أشاء من عبادى .

وقال للنار : أنت عذابى ، أُعذبُ بك من أشاء من عبادى .=

---

(1) رواه الترمذى [٢٥٦٠] ، وأبو داود [٤٧٤٤] ، والنسائى [٣/٧] ، وأحمد فى المسند [٣٣٢/٢] . وحسنه الأرناؤوط .

(2) أخرجه البخارى [٦٤٨٧] واللفظ له . ومسلم [١/٢٨٢٢] ، والترمذى [٢٥٥٩] .

= ولكل واحدة منكم ملؤها . فأما النار فلا تمتلىء . فيضع قدمه عليها ؛ فتقول : قَطِ قَطِ . فهنالك تمتلىء . ويُزْوَى بعضها إلى بعض »[1] .

وعن أنس رضى اللّٰه تعالى عنه عن النبى صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « بينما أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك ربك ، فإذا طيبه أو طينه مسك أذفر »[2] شك هُدْبَةُ .

وعن جابر بن عبد اللّٰه رضى اللّٰه تعالى عنه قال : سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم يقول : « دخلت الجنة فرأيت فيها دارًا أو قصرًا فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا : لعمر ابن الخطاب . فأردت أن أدخل فذكرت غيرتك ، فبكى عمر وقال : أى رسول اللّٰه أو عليك يُغار »[3] .

وعن ابن مسعود رضى اللّٰه تعالى عنه قال : قال =

(1) أخرجه البخارى [٤٨٥٠] ، ومسلم [٣٥/٢٨٤٦] واللفظ له ، وأحمد فى المسند [٥٠٧/٢] .
(2) أخرجه البخارى [٦٥٨١] ، وأحمد فى المسند [١٩١/٣] .
(3) أخرجه مسلم [٢٠/٢٣٩٤] ، وأحمد فى المسند [١٩١/٣] وبنحوه البخارى [٣٦٧٩] .

رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : « لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال : يا محمد أقرىء أمتك منى السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان اللّٰه والحمد للّٰه ولا إله إلا اللّٰه واللّٰه أكبر »[1] .

وعن جابر رضى اللّٰه تعالى عنه عن النبى صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « من قال : سبحان اللّٰه العظيم وبحمده ، غُرِسَت له نخلة فى الجنة »[2] .

○○○

(1) رواه الترمذى [٣٤٦٢] ، وحسنة الألبانى فى صحيح الجامع [٥١٥٢] والصحيحة [١٠٥] ؛ وصحيح الترمذى [٢٧٥٥] .
(2) رواه الترمذى [٣٤٦٤،٣٤٦٥] ، وصححه الألبانى فى الصحيحة [٢٧٥٢] ، وابن حبان فى صحيحه [٨٢٦،٨٢٧] . وقال ابن حبان : رجاله ثقات وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢٧٥٧] ، ورواه ابن ماجه [٣٨١٢] من حديث أبى هريرة رضى اللّٰه تعالى عنه وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه [٣٠٧٤] .

الجنة .. وعد الله للمؤمنين

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٢] .

المتيقن من صدق كلام الله سبحانه ، الواثق به ، يعلم أنه لا توجد مسافة تبعده عن عطاء الله تعالى ، مثال ذلك حينما سأل النبيُّ أحد الصحابة وكان اسمه الحارث بن مالك الأنصارى : « كيف أصبحت يا حارث ؟ » .

قال الصحابى : أصبحت مؤمناً حقاً .

لقد أجاب الصحابى بكلمة كبيرة المعانى وهى الإيمان حقاً ؛ لذلك قال رسول الله ﷺ : « انظر ما تقول ، فإن لكل شىء حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ »

فأجاب الصحابى رضى الله تعالى عنه : عزفت نفسى عن الدنيا ، وأسهرت لذلك ليلى ، وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربىّ بارزاً ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها .

فقال رسول الله ﷺ : « يا حارث : عرفت فالزم - ثلاثا » [١] .

ومعلوم أن لكل حرف من الحروف الداخلة على الفعل ملحظ ومغزى .

وقوله تعالى : ﴿ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ ﴾ [النساء : ٥٧] . معلوم أنه إذا ذكرت الجنة على إطلاقها تنصرف إلى جنة الآخرة فهى الجنة بحق ، أما جنة الدنيا فمن الممكن أن يحدث لها ما يحدث للمزروعات التى نراها من جفاف للورق ثم تساقط ، وقد ييبس نباتها وشجرها ويتناثر ، أو يصيبها الجدب فلا تثمر أصلًا ، أما جنة الآخرة فهى ذات الأُكل الدائم .

وإن قيدت كلمة : « الجنة » بأى قيد أو وصف ، فالقصد منها معنى آخر ؛ كقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ [٢] [القلم : ١٧] .

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير [٣٣٦٧/٢٦٦/٣] ، وعبد بن حميد فى مسنده [٤٤٥] . ومعنى قوله : « يتضاغون » : يستغيثون . المعجم الوسيط [ص : ٥٤١] .

(٢) قال ابن القيم : الجنة اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور ، وهى جنات كثيرة جدا كما روى البخارى=

= فى صحيحه عن أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقة « أتت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم فقالت : يانبى اللّٰه ألا تحدثنى عن حارثة ؟ - وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غَرْب- فإن كان فى الجنة صبرتُ ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء . قال : يا أم حارثة إنها جنان فى الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » (١) .

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما . وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » (٢) . وقد قال تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦] فذكرهما ثم قال : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٦٢] فهذه أربع ، والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأولين من عشرة أوجه :

أحدها : قوله ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ [الرحمن : ٤٨] فيه قولان : =

(١) أخرجه البخارى فى الجهاد [٢٨٠٩] .

(٢) أخرجه البخارى فى التوحيد [٧٤٤٤] ومسلم فى الإيمان [٢٩٦] .

= أحدهما : أنه جمع فَنَن وهو الغصن ، والثانى : أنه جمع فَنّ وهو الصنف ، أى : ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ولم يذكر ذلك فى اللتين بعدهما .

الثانى : قوله ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ [الرحمن : ٥٠] وفى الأخريين : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٦] والنضاخة هى الفوارة ، والجارية : السارحة وهى أحسن من الفوارة فإنها تتضمن الفوران والجريان .

والثالث : أنه قال : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [الرحمن : ٥٢] وفى الأخريين : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن : ٦٨] ولا ريب أن وصف الأولين أكمل ، واختلف فى هذين الزوجين ، والظاهر واللّٰه أعلم أنه الحلو والحامض والأبيض والأحمر وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وألذ للعين والفم .

والرابع : أنه قال : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الرحمن : ٥٤] وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها ، وفى الأخريين قال : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن: ٧٦] .

والخامس : أنه قال : ﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن : ٥٤] أى قريب وسهل يتناولون كيف شاءوا ، ولم يذكر ذلك فى الأخريين . =

= **السادس** : أنه قال : ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ [الرحمن : ٥٦] أى قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم ، وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن ، وقال فى الأخرين : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٢] ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قُصِرَت بغيرها .

السابع : أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان فى صفاء اللون وإشراقة وحسنه ، ولم يذكر ذلك فى التى بعدها .

الثامن : أنه قال سبحانه وتعالى فى الجنتين الأوليين : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] وهذا يقتضى أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل فكان جزاؤهم بإحسان كامل .

التاسع : أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزاءً لمن خاف مقامه وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه ، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه ، ولما كان الخائفون على نوعين : مقربين ، وأصحاب يمين . ذكر جنتى المقربين ثم ذكر جنتى أصحاب اليمين .

العاشر : أنه قال : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٦٢]=

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٥] .

والجنة بربوة هى البستان على مكان عال ، وهى ذات مواصفات أعلى مما وصل إليه العلم الحديث ؛ لأن الأرض إذا كانت عالية لا تستطيع المياه الجوفية أن تفسد جذور النبات المزروع فى هذه الأرض ، ولذلك قال تعالى : ﴿ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾ [البقرة : ٢٦٥] .

ويزيد على ذلك أنها بربوة ، وأنها تروى بالمطر من أعلى ، ومن الطل ، فتأخذ الرى من المطر للجذور ، والطل لغسل الأوراق . لذلك قال سبحانه : ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [البقرة :٢٥] ويطمئننا سبحانه على احتفاظها بنضرتها وخضرتها ، وأول شىء يمنع الخضرة ، هو أن ينضب الماء فتذبل الخضرة .

= والسياق يدل على أنه نقيض فوق . فإن قيل : فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه ؟ قيل : لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما .

هذا وعد من الحق سبحانه إلى عباده المؤمنين أصحاب العمل الصالح بالخلود فى الجنة ، والخلود هو المكث الطويل .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [النساء : ٥٧] أى : أن المكث فى الجنة ينتقل من المكث الطويل إلى المكث الدائم .

وقوله تعالى : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٢] . حين يعدك من لا يمنعه شىء عن إنفاذ وعده ، فهذا هو وعد الحق ، أما إذا وعد المساوى لك فقد لا يتحقق ، لعله ساعة إنفاذ الوعد يغير رأيه ، أو لا يجد اليسار والسَّعة والغنى فلا يستطيع أن يوفى بما وعد به ، أو قد يتغير قلبه من ناحيتك ، لكن اللّه سبحانه وتعالى لا تعتريه الأغيار ، ولا يعجزه شىء ، وليس معه إله آخر يقول له : لا . لذا فإن وعده سبحانه لا رجوع فيه ولا محيص عن تحقيقه .

وقول اللّه هنا : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ ؟ هو كلام واضح محدد لكل واحد منا ، جاء على صورة الاستفهام لتكون الإجابة من الخلق إقراراً بصدق ما يقوله اللّه سبحانه ، وهل يوجد أصدق من اللّه حديثاً ؟!

وتكون الإجابة : بالطبع لا يوجد ، حاشا لله ؛ لأن الكذب

إنما يأتى ممن له مصلحة ، ليحقق لنفسه [illegible] ليحققه ، واللّه سبحانه وتعالى منزه عن ذلك .

وقوله : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ ، الوعد : بشارة بخير يأتى زمانه بعد الكلام .

والوعيد : إنذار بسوء يأتى بعد الكلام .

فالوعد : يشجع السامع على أن يبذل جهده ويعمل ؛ حتى يتحقق له الخير الذى وُعد به .

والوعيد : يعطى السامع فرصة أن يمتنع عما يغضب اللّه حتى لا يناله عذاب اللّه .

على أننا نلاحظ فى القرآن الكريم أن الحق سبحانه وتعالى قال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ ﴾ [التوبة : ٦٨] ثم ذكر العذاب الذى ينتظرهم .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [التوبة : ٧٢] ثم وصف النعيم الذى ينتظرهم . مع أن الشائع فى اللغة أن الوعد يكون بالخير والوعيد يكون بالشر ، فكان من المناسب فى عرف البشر أن يقول الحق سبحانه وتعالى : « أوعد اللّه المنافقين » ؛ لأن الذى سيأتى بعد

وإذا أردنا أن نفهم لماذا جاء الحق سبحانه بكلمه ﴿ وعد ﴾ بدلاً من « أوعد » ؟ نقول : إن الحق سبحانه وتعالى بعد أن عرَّف المنافقين والمنافقات ، ثم تكلم عن جزائهم إن أصرُّوا على نفاقهم ، كان ذلك تحذيراً حتى لا يُصروا على النفاق ، وتخويفاً من العذاب الذى ينتظرهم ؛ عَلَّهم يقلعون عن النفاق وينصرفون إلى الخير الموجود فى الإيمان .

إذن .. فالحق سبحانه وتعالى حين حذرهم بالوعيد نصحهم ، كما تقول لمن يهمل فى دروسه : « سترسب إذا أهملت دروسك » . فتكون بذلك قد خدمت إقباله على المذاكرة . وأوصلته بالوعيد إلى أن يتجنب الأمر الذى أوعد به ؛ ولذلك قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝٣٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٦ ﴾ [الرحمن] .

هل الشواظ من النار نعمة حتى يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ أى : فبأى نعم ربك تكذب ؟ نقول : نعم إنه نعمة ؛ لأن الحق سبحانه وتعالى حين يوضح لك : إن خالفت هذا فستذهب إلى النار ، يكون قد قدم لك العظة والنصيحة ؛ والعظة والنصيحة نعمة ؛ لأنه يجعلك

تتجنب طريق النار وتختار طريق الجنة .

إذن .. فحين يحذر اللّه المنافقين والمنافقات بالمصير الذى ينتظرهم ، يكون هذا خيراً ونعمة ؛ لأنهم إن اتعظوا وأقلعوا عن النفاق إلى الإيمان فهم ينجون أنفسهم من عذاب النار ، وفى هذا خير عميم . ولذلك ذكر الحق سبحانه وتعالى كلمة : ﴿ وَعَدَ ﴾ . واللّه تعالى أعلم .

الحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ والوعد كما قلنا آنفاً : بشارة بخير مستقبلى ، والوعيد إنذار بشرٌ يأتى فى المستقبل ، والوعد والإيعاد هما ميزان الوجود فى الدنيا والآخرة ؛ لأنك إن وعدت من يلتزم بمنهج اللّه خيراً ، استحسن الناس جميعاً أن يصلوا إلى الخير باتباعهم المنهج ، وإن أوعدتهم بشر إن خالفوا منهج اللّه ؛ نفر الناس من المخالفة والمعصية خوفاً من العذاب وتجنبوا الشر . فإن صدق وعدك لأهل الخير بالخير ، وصَدَقَ وعيدك لأهل الشر بالشر ؛ استقام ميزان الحياة .

ولذلك نقول للذى يذاكر : « إنك ستنجح ، فإن أتقنت المذاكرة حصلت على المجموع الذى يؤهلك لدخول الكلية

التى تختارها ، وإن أهملت دروسك رسبت وفصِلت من التعليم وضاع مستقبلك » . هنا وعد ووعيد . إن وفَّيتَ ما وعدت ووقيت ما توعدت ، استقام ميزان الحياة . ولكن إذا جئت لإنسان لم يذاكر وأنجحته وأعطيته أعلى الدرجات مخالفاً بذلك وعيدك له ، فأنت تهدم قضية كونية يترتب عليها مصالح الخلق كلهم .

وإن وعدت من يحصل على ٩٥٪ مثلاً أنه سيدخل كلية الطب ، ثم أخلفت وعدك فدخل كلية الطب من حصل على ٩٤٪ واستُبعِدَ الحاصل على ٩٥٪ بسبب تدخل الأهواء ! تكون أيضاً قد اعتديت على حركة الحياة كلها ، وأفسدت قضية العمل الجاد فى حركة الحياة ، وكل من لا يملك القدرة على تنفيذ ما وعد به أو أوعد به ، لا يكون لكلامه وزن فى حركة الحياة .

على أنه إذا كان الوعد والوعيد من الحق سبحانه وتعالى فإنه مختلف مع منطق البشر ؛ لأننا أهل أغيار ، فقد أعد بخير ثم لا أستطيع تنفيذه ، وقد أعد بعقاب ثم أعجز بسبب ظروف معينة فلا أقوى على التنفيذ .

إذن .. فلكى تستقيم حركة الحياة ، لابد أن يأتى الوعد والوعيد من القادر دائماً ، القوى دائماً ، الموجود دائماً ؛ صاحب الكلمة العليا بحيث لا يوجد شيء يمكن أن يجعله لا يفى بوعده أو لا يُتِمُّ وعيده ، وليس ذلك إلا للّه تعالى وحده .

ومن دلائل قدرته وإعجازه سبحانه قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝ ﴾ [المسد] .

اللّه سبحانه وتعالى قد حكم فى هذه السورة الكريمة ؛ بأن أبا لهب وامرأته سيموتان كافرين ، وسيدخلان النار ، وكان كثيراً ممن كانوا على الكفر وقت نزول هذه السورة مثل : خالد بن الوليد ، وعكرمة بن أبى جهل ، وعمرو بن العاص وغيرهم ؛ آمنوا وحسُن إسلامهم ، وجاهدوا فى سبيل اللّه ، فلماذا قال اللّه تعالى بأن أبا لهب وامرأته لن يؤمنا كما آمن عمرو ، وكما آمن عكرمة ، وكما آمن خالد ابن الوليد .. وغيرهم ؟

نقول : لأن اللّه تعالى يعلم أزلاً بأنهما لن يؤمنا ، ولو كان

الأمر محل شك لقال أبو لهب : هكذا حكم رب محمد . وبلغ محمد ولكنى أُشهدكم أننى آمنت برب محمد ، ولكن اللّه القادر على إنفاذ حكمه ووعده ، العليم بأمور خلقه ، المشهود منها والغائب ، الذى إذا حكم فلا مرد لحكمه ، ولا معقب على أمره ، لا إله إلا اللّه ، وهو على كلى شيء قدير .

وما دام اللّه لا إله إلا هو فأمره نافذ حتى فى الأمور الاختيارية فى الحياة ، فإذا قال اللّه فى القرآن : ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ [الكهف : ٢٧] . فإذا وعد سبحانه بخير فإن وعده آت لا محالة ، وإذا أوعد بشر فسوف يقع حتماً .

إذن .. فلكى تستقيم موازين الحياة ، كان لابد أن يأتى الوعد والوعيد من الحق سبحانه وتعالى حتى نكون على يقين بأنه سيحدث ؛ لأنه لا أحد يشارك اللّه فى ملكه ، ولا يوجد قوى إلا اللّه ، ولا غالب إلا اللّه ؛ لأنه هو اللّه الواحد الأحد .

وقد يأتى الحق سبحانه وتعالى بسنة كونية واقعة ، فأنت حين تزرع الأرض وتُحسن حرثها ، وريها ، ووضع البذور فيها ، يأتيك المحصول بوفرة . وإذا أهملت الأرض وتركتها بلا حرث ولا زرع ولا بذور ، فإنها لا تعطيك شيئاً .

إذن .. فالسنة الكونية هنا كشفت عن أن الذى يجدُّ فى زراعة أرضه سيجد المحصول الوفير ، وأن من لا يُقبل على زراعة أرضه بعناية ورعاية فإنه لن يحصل على ثمرة واحدة منها .

ولو اختلف الأمر ووجدنا من زرع وحرث وسقى وأتقن كل شىء ، لم يحصل على الثمار ، ومن زرع ولم يتقن عمله ولم يتعهده بالعناية ولا الرعاية أعطته الأرض من ثمارها الكثير ، لانقلبت المعايير فى الكون ، وما وجدنا أحداً يتعهد أرضه ولا يرعاها !!

إذن .. فلكى تستقيم الحياة ، لا بد أن يكون الوعد والوعيد من قادر على التنفيذ لا يعتريه الضعف ولا يتغير ولا يتبدل ، وقد يكون ذلك بسنة كونية نراها أمامنا فى كل يوم ولا يقع ما هو مخالف لها . فالذى يجتهد فى تحصيل دروسه ينجح ، والذى لا يجتهد يرسب .

إذن .. السنة الكونية لو صدقت مع الواقع اعتدل ميزان الحياة . ولو لم تصدق مع الواقع وتدخلت الأهواء لتجعل مثلًا من لا يذاكر ينجح ، ومن يذاكر يرسب ؛ اختلت حركة الحياة وضاعت القيم .

إذن .. فميزان الوعد والوعيد هو دولاب حركة الحياة ، فإن اختل هذا الميزان وجاء الوعد مكان الوعيد ؛ أى كوفىء الذى لا يعمل ، وعوقب الذى يعمل فسد الكون . لماذا ؟ لأن كل إنسان يحب النفع لنفسه ، ولا يختلف فى ذلك مؤمن أو عاص أو كافر ، ولكن العاصى والكافر يحبان نفسيهما حباً أحمق ؛ فيحققان لها نفعاً قليلاً زمنه محدود ؛ بعذاب مستمر زمنه بلا حدود .

أما المؤمن فهو إنسان كَيِّسٌ فَطِنٌ يمتاز بالذكاء وبُعد النظر ؛ لذلك فهو حرم نفسه من متعة عاجلة فى زمن محدود ، ليحقق لها متعة أكبر فى زمن لا ينتهى بطاعته لله تعالى .

ولقد ضربنا مثلاً لذلك - ولله المثل الأعلى - فقلنا : هب أن هناك أخوين : أحدهما يستيقظ من النوم مبكرًا ، فيصلى ثم يتناول طعام إفطاره ثم يأخذ كتبه ويذهب إلى المدرسة ، ويحسن الإنصات للمدرسين ويعود إلى البيت ليذاكر دروسه .

والآخر يظل نائمًا يتمتع بالنوم ، ويقوم عند الضحى ، فيخرج ليتسكع فى الشوارع ، وحين تحدثه نفسه بأى متعة فهو يحققها بصرف النظر عن حكمها فى شرع الله أحرام هى ، أم حلال ؟!

إن كلا الأخوين يحب نفسه ، لكن الأول : أحب نفسه فأعطاها مشقة محتملة فى سنوات الدراسة ؛ لتعطيه راحة ومركزًا ومالًا وجاهًا بقية حياته .

أما الثانى : فهو أحب نفسه أيضاً ولكنه أعطاها المتعة العاجلة ، فأضاع حياته العملية ، وخرب مستقبله فلم يعد يساوى بين أقرانه شيئًا .

إذن .. فكل منا يحب نفسه ، ولكن مقاييس الحب هى التى تختلف . فمنا مَنْ يأخذ المقياس السليم ، فيتحمل مشقة قليلة ليأخذ نعيمًا أبديًا ، ومنا من يعطى نفسه متعة عابرة ليفقد نعيمًا مقيمًا .

وهذه سنة الحياة ، فلا تجد إنسانًا ارتاح فى آخر حياته إلا إذا كان قد أجهد نفسه فى سنواته الأولى ؛ ليصل إلى الراحة بقية عمره ، ولا تجد إنسانًا فاشلًا عالة على المجتمع إلا إذا كان قد أخذ حظه من الحياة فى أولها فيشقى بقية عمره .

لذلك يقال دائماً : إنه لا يوجد من يأخذ حظه من الحياة مرتين أبداً ، فالذى يتعب فى أول حياته يرتاح بقية عمره ، والذى يرتاح أول حياته يتعب بقية عمره . والمثل الشائع يقول :

« من جار على شبابه – اى : ضيعه فيما [illegible] عليه شيخوخته » .

والقائمون على الأمر عليهم أن ينبهوا المقبلين على الحياة بالوعد والوعيد حتى يستقيم أمر حياتهم ، وعليهم ألا يؤجلوا الوعد إلى أن تنضج الثمرة . ولا الوعيد إلى أن يقع الشر .

وعلى كل ولى أمر ؛ فى أى مكان ؛ أن يراقب حركة أبنائه أو من يتولى أمرهم ، فيشجع ويعد المجتهد ، ولا ينتظر حتى ينجح ، بل لابد من الوعد لكى يتم الاجتهاد . ولابد من الوعيد قبل أن يرسب الابن أو يضيع حياته ، فلا ننتظر حتى يفسد الإنسان ثم بعد ذلك نتوعده ؛ لأن الوعد والوعيد هما اللذان يزنان حركة الحياة .

وإذا رأينا فى مجتمع ما أن الذى يعمل لا يأخذ شيئاً ، والذى لا يعمل يأخذ كل شىء ، فلنعرف أن المقاييس قد اختلت . وأن المتاعب قد بدأت فى المجتمع ؛ لأن الذى يعمل حين يجد أن العمل لا يوصله إلى شىء ، فهو يوجه حركة حياته إلى غير عمله ، فيبذل جهده كله فى النفاق والرياء ، وقلب الحقائق وإرضاء الذى بيده الأمر . وتكون النتيجة هى

فقدان المجتمع لقيمة العمل فيصبح المجتمع بلا عامل منتج ، ويصير مجتمعاً بارعاً فى فنون النفاق والرياء وضياع الحق .

وقد جعل الحق سبحانه وتعالى مقياس حركة الحياة فى الوعد والوعيد ؛ فلا تعط حافزاً إلا لمستحق ، ولا مكافأة إلا لمجتهد ؛ واعلم أنك إذا بعثرت الحوافز على المنافقين ، والذين يحققون لك أهدافك الشخصية ، كأن يتركوا عملهم ليخدموك فى بيتك أو يقضوا لك مصالحك الخاصة ، ومنعت الحوافز عن الذى يعمل فى جد ، تكون بذلك قد أفسدت حركة الوعد والوعيد ؛ فتختل حركة الحياة فى المجتمع ، لأن حركة كل إنسان يتقن العمل ويجيده ، هى حركة تنفع المجتمع كله ، بصرف النظر عن صاحب الحركة نفسه ، فإذا وجد عامل نشيط أنجز مصالح عشرات الناس ، أو موظف مخلص أسعد كل من يتعاملون معه ، فإن أضعت أنت هؤلاء ، فكأنك أضعت المجتمع الذى تعيش فيه .

لذلك نجد الحق سبحانه وتعالى فى سورة الكهف يقول : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف : ٨٣] .

فما هو الذكر الذى يعنيه الله سبحانه وتعالى ؟

بعض الناس يحاول أن يدخل نفسه فى متاهة بالسؤال من هو ذو القرنين ، هل هو قورش ؟ أو الإسكندر الأكبر ، أو غيرهما ؟ نقول : إن هذا لا يعنينا ، بل ما يعنينا هو أن نلتفت إلى أن ذا القرنين هو إنسان مكنه اللّٰه فى الأرض . وهذا ينطبق على كل إنسان مكنه اللّٰه فى الأرض ؛ فى أى زمان ، وفى أى مكان . ومهمة من يمكنه اللّٰه فى الأرض ألا يكتفى بعطاء اللّٰه من الأسباب ، بل عليه أن يتبع هذه الأسباب ؛ مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الكهف] .

ومهمته - أيضًا - أن يثيب من يحسن عمله ، ويعاقب من أساء عمله ، وفى هذا يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ... قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الكهف] .

وأول ما يجب أن يهتم به كل ممكن فى الأرض ، بعد توليد

الطاقة من الأسباب ، هو معاقبة الظالم بالضرب على يده لتستقيم الأمور . وفى هذا إصلاح لحركة الحياة فى الدنيا ، أما فى الآخرة فللظالم عذاب آخر ، ذلك أن الذين يعيثون فى الأرض فساداً لا يمكن أن نخوفهم بعذاب الآخرة ؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة . ولو تركناهم ؛ ولم نأخذ على أيديهم ؛ لملأوا الأرض فساداً . والفساد فى المجتمع لا يصيب المفسد فقط ، ولكن يكتوى به المجتمع كله .

إذن .. فلابد أن نعجل لهم بالعقوبة فى الدنيا ، لنحمى المجتمع من الفساد ، ثم يعذبهم الله فى الآخرة ، إذا لم يؤمنوا ، ولم يحسبوا حساب لقائه يوم القيامة ، وأما من آمن وأصلح فى المجتمع وصلح المجتمع بإيمانه ، فلابد أن نجزيه خيراً ونشجعه . هذا هو قانون صلاح الكون ، وتلك هى معاييره .

إذن .. يشترط فيمن يقوم بتنفيذ الوعد والوعيد القدرة الدائمة وعدم التغير والوجود الدائم ، فإذا كانت القدرة هى المطلوبة ، فلا يوجد أقدر من الله تعالى ، أما التغير فالله سبحانه يغير ولا يتغير ، وأما البقاء فلا بقاء ولا دوام لغير الله ؛ ولذلك نجد أن المؤمن الحق هو من يعمل بقول الحق سبحانه :

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الكهف] .

وليس معنى هذا أن نمتنع عن التخطيط ، كوضع خطط لعام قادم ، أو حتى لسنوات قادمة ، ولكن قل : إن شاء الله سوف أفعل ذلك غداً ، أو : إن شاء الله سأفعل كذا فى العام القادم ؛ خشية أن ما تعد به ، قد تأتى وقت الوفاء ولا تجد عندك القدرة على أن تفعله ، فلا تركن لقوتك وقل إن شاء الله ، فيعينك سبحانه .

فإذا قلت ـ مثلاً ـ لإنسان : سنتقابل غداً فى المسجد عقب صلاة العشاء مثلاً ، لنتكلم فى موضوع كذا . هل تملك أن تعيش لغد ؟ أو يملك من وعدته أن يعيش لغد ؟ أو تملك أن يظل سبب اللقاء موجوداً ؟

إذن .. فساعة تقول « سأفعل ذلك غداً » ، قل : « إن شاء الله » ؛ لأنك لا تملك شيئاً من أسباب الفعل . فكل فعل إنما يحتاج لفاعل وأنت لا تضمن بقاءك كفاعل .

ويحتاج كل فعل إلى مفعول يقع عليه ، وأنت لا تضمن

بقاء المفعول ، وكل فعل يحتاج إلى قوة ليتم ، وأنت لا تضمن بقاء قوتك ؛ فيجوز أن تمرض ولا تقدر على الحركة . كذلك يحتاج كل فعل إلى سبب كى تفعله ، وقد يتغير السبب .

إذن .. فأنت لا تضمن شيئاً من أسباب الفعل ؛ لذلك لا تقل سأفعل ذلك غداً ؛ بل قل : إن شاء اللّٰه تعالى لأن الذى يملك أن يبقيك لغد ، أو يُبقى السبب أو يُبقى قدرتك على الفعل هو اللّٰه .

ولكن إذا كان الذى وعد هو الحق سبحانه وتعالى ، فوعده لا بد أنه واقع ؛ لأنه الباقى الذى لا يموت ، القادر دائماً الذى لا تضعف قدرته ، الفعّال سبحانه لما يريد .

وقوله تعالى : ﴿ جَنَّٰتٍ ﴾ جمع « جنة » . ومادة الجيم والنون هذه مأخوذة من الستر والتغطية . يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦] .

يعنى : ستر وأظلم ، والجنون ستر العقل . والجنة تستر من فيها ؛ لأن أشجارها كبرت ونمت وترعرعت . بحيث يكون من يسير فيها مستوراً بأغصان الشجر وأوراقه ؛ فلا يراه أحد .

ويكون مستوراً فى كل مطلوبات حياته . فلا يحتاج أن ي...
منها ، لأن فيها كل مطلوبات الحياة من الماء والطعام وطيب المكان .. إلخ .

فإذا كان الحق سبحانه وتعالى قد وعد المؤمنين والمؤمنات جنات ، فإن المؤمنين : جماعة ، والمؤمنات : جماعة ، والموعود به جنات : جمع ، ومقابل الجمع بالجمع يقتضى القسمة لآحاد ، فيكون المعنى : أن اللّٰه وعد كل مؤمن جنة ، ووعد كل مؤمنة جنة ، والأفراد ستتكرر .

إذن .. فالموعود به جنات لابد أن تتكرر ، فإذا قسمناها عرفنا نصيب كل مؤمن ومؤمنة ، تماماً مثلما يقول الأستاذ لتلاميذه : « أخرجوا كتبكم » . قوله : أخرجوا ، أمر لجماعة ، وقوله : كتبكم ، جمع ، أى : على كل تلميذ أن يخرج كتابه . وقول المعلم : أمسكوا أقلامكم . يعنى : أن يمسك كل تلميذ قلمه .

إذن .. فقول الحق سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾ أى : أن لكل واحد منهم جنة .

وإذا سأل سائل وقال ولكن الحق سبحانه وتعالى يقول فى

سورة الرحمن : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ ...

نقول له لابد أن ننتبه ...

فسورة الرحمن لا تتكلم ...

الإنس والجن . فسبحانه وتعالى ...

صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ...

نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [الرحمن] .

وكذلك قول الحق جل جلاله : ﴿ ...

ٱلثَّقَلَانِ ﴾ [الرحمن : ٣١] .

إذن .. فيكون للإنس جنة وللجن جنة ...

سبحانه وتعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ .

من خاف مقام ربه من الإنس له جنة ، ومن ...

من الجن له جنة .

ويمكن أن يكون المعنى : أن لكل واحد ...

سبحانه وتعالى علم أزلاً ما سيصير إليه أمر ...

أو الفجور ، ولكنه تبارك وتعالى لم يخلق ...

لهم وحدهم ، أو يخلق للكفار ناراً لهم ...

لكل واحد من خلقه إلى أن تقوم الساعة ...

... الساعة ناراً [1] ، فإذا دخل أهل الجنة

... التى خلقت ولم يدخلها أحد ، لأن

... ار ، فيورثها الحق للمؤمنين أصحاب

... تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٢] .

أى : أنها لم تكن مخلوقة لكم ، ولكنكم أورثتموها ؛ لأن أصحابها من أهل النار [2] .

---

(١) أخرج البخارى [٦٥٦٩] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال ، قال النبى ﷺ : « لا يدخل أحد الجنة إلا أُرى مقعده من النار لو أساء ، ليزداد شكراً ، ولا يدخل النار أحد إلا أُرى مقعده ... ليكون عليه حسرة » .

... [٤٣٤١] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ... الله ﷺ : ما منكم من أحد إلا له منزلان : منزل ... ل فى النار . فإذا مات فدخل النار ، ورث أهل ... لك قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ . قال الزوائد : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

فى صحيح ابن ماجه [٣٥٠٣] صحيح .

ونزيد الأمر هنا توضيحاً ، فالقرآن الكريم له أسلوب مميز ؛ لأن الذى يتكلم هو اللّه سبحانه وتعالى . ولذلك فإن كل لفظ من ألفاظ القرآن الكريم يأتى مطابقاً للمعنى تماماً .

وفى اللغة ، قبل أن تتكلم لابد أن تكون عالماً بمعنى اللفظ . وأن يكون محدثك أيضاً عارفاً معناه حتى يستطيع أن يفهمك . فإذا قلت لإنسان مثلاً : « أحضر لى كوباً من الماء لأشرب » ، فلابد أن يكون عارفاً لمعنى الماء ومعنى الكوب ، وإلا فإنه لن يفهم .

إذن .. فبالتخاطب توجد المعانى أولاً ثم توجد لها الألفاظ ؛ ولذلك قبل أن يتم اختراع الطائرة مثلاً لم يكن المعنى موجوداً ، وعندما اخترعت وفهمنا معناها وضع لها الاسم . فإذا وجدت لفظاً فى اللغة ، فاعلم أن المعنى قد وجد أولاً قبل أن يوضع اللفظ أو الاسم ، ولعل هذا هو أكبر دليل لغوى ضد من ينكرون وجود الواجد الأعلى سبحانه وتعالى .

نقول لهم : إن اسم اللّه تعالى موجود فى كل لغة ؛ وبما أن المعنى فى اللغة يوجد أولاً . فوجود اللّه سبحانه وتعالى سابق لمعرفتنا باسمه سبحانه وتعالى ؛ لأن الاسم لا يمكن أن يوجد إلا بعد أن يوجد المعنى ، وما دمت قد نطقت بالاسم ، فهذا دليل على أن اللّه موجود .

إذن .. فقولك : إن اللّه غير موجود قول باطل ؛ لأنك

ما دمت قلت : « اللّه » ، ووجد لفظ الجلالة فى لغتك ؛ فلابد أن اللّه سبحانه وتعالى موجود قبل وجود لفظ الجلالة . والكفر طرأ على اللفظ ، فحاول أن يستره ؛ ولذلك سمى الكفر ستراً لوجود اللّه . والستر لا يكون إلا لموجود .

إذن .. فالذى كفر ، ستر موجوداً ؛ فأعطى دليل الإيمان .

إذن .. فوجود اللّه سبحانه سَبَّاق لمعرفتنا اسم « اللّه » ، ومحاولة ستر ذلك بالكفر إنما هى دليل على وجود « اللّه » ؛ لأنك لا تستر إلا ما هو موجود .

إن الذى وعدنا بهذه الـ ﴿ جَنَّٰتٍ ﴾ هو اللّه سبحانه وتعالى . وهو القادر على أن ينفذ ما وعدنا به ، من جنات فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر(١) . وجعل هذه الجنات واسعة شاسعة ، فيها زروع وأزهار وأشكال ؛ تسرُّ

---

(١) أخرج البخارى [٢٣٤٤] ، ومسلم [٢/٢٨٢٤] ، والترمذى [٣١٩٧] عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه عن النبى ﷺ قال : « قال اللّه عز وجل أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، مصداق ذلك فى كتاب اللّه ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] .

العين بجمالها ، وتمتع اللمس بنعومتها ؛ وتملأ الأنوف برائحتها الزكية .

ومن ميزات جمالها أن الأنهار تجرى من تحتها ، ولا تجرى من فوقها ، فمنابعها ذاتية ، بمعنى أن الأنهار تنبع من نفس المكان . وكأن كل نهر ينبع من تحت جنة خاصة به . وإذا أردت أن تعرف جمال هذه الأنهار ؛ فاعلم أنه جمال قد صنعه الحق سبحانه وتعالى .

وإذا كنا فى حياتنا نرى أن لكل نهر شاطئين ، فإن أنهار الجنة تجرى من غير شواطئ ؛ وإنما يمسكها الذى أمسك السماء أن تقع على الأرض ، ثم تجد الأنهار قد تشترك فى المجرى ؛ نهر اللبن ، ونهر العسل ، ونهر الماء ، ونهر الخمر ، وكلها تجرى فى مجرى واحد ولكنها لا تختلط ببعضها البعض ، فكل منها منفصل ؛ لأن الحق سبحانه وتعالى وهو الخالق أراد لها ذلك فتبارك الله أحسن الخالقين .

ooo

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [يونس : ٩] .

الهداية معناها الدلالة على الخير ، بالمنهج الذى أرسله الحق سبحانه لنا ، وبه بيَّن الحق السبل أمام المؤمن والكافر ، أما الذى يقبل على الله بإيمان فيعطيه الحق سبحانه وتعالى هداية أخرى ؛ ييسر عليه أمر الطاعة ؛ ولذلك قال سبحانه : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥] .

وهكذا يتلقى المؤمن مشقات الطاعة بحب ؛ فييسرها الحق سبحانه له ويجعله يدرك لذة هذه الطاعة ؛ لتهون عليه مشقتها ، ويمده سبحانه أيضاً بالمعونة (١) .

---

(١) قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] وقال : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾ [النحل : ٩] أى : ومن السبيل جائر عن القصد وهى سبيل الغى وقال : ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [الحجر : ٤١] . =

= وقال ابن مسعود : « خطَّ لنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم خطًّا وقال : هذا سبيل اللّه ، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن يساره ، ثم قال : هذه سبل ، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ ﴾ [1]الآية [الأنعام : ١٥٣] .

فإن قيل : فقد قال اللّه تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة] .

قيل : هى سبل تجمع فى سبيل واحد وهى بمنزلة الجواد والطرق فى الطريق الأعظم فهذه هى شعب الإيمان يجمعها الإيمان وهو شعبة ، كما يجمع ساق الشجرة أغصانَها وشعبها . وهذه السبل هى إجابة داعى اللّه بتصديق خبره وطاعة أمره ، وطريق الجنة هى إجابة الداعى إليها ليس إلا . وقد روى البخارى فى صحيحه عن جابر قال : « جاءت ملائكة إلى النبى صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا : =

(١) رواه أحمد فى المسند [١/٤٣٥، ٤٦٥] وقال الشيخ شاكر فى المسند [٤١٤٢ ، ٤٤٣٧] : إسناده صحيح .

يقول الحق سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾ .

وما داموا قد آمنوا ؛ فسبحانه ينزل لهم الأحكام التى تفيدهم فى حياتهم وتنفعهم فى آخرتهم ، أو أن الهداية لا تكون فى الدنيا بل فى الآخرة ، فما داموا قد آمنوا ، فهم قد أخذوا المنهج من اللّه سبحانه وتعالى وعملوا الأعمال الصالحة ، يهديهم الحق سبحانه إلى طريق الجنة .

= إن لصاحبكم هذا مثلًا قال: فاضربوا له مثلًا فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : مثله مثل رجل بنى دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا ، فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة . فقالوا : أولوها له يفقهها ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا فالدار الجنة والداعى محمد ﷺ ، فمن أطاع محمدًا فقد أطاع اللّه ومن عصى محمدًا فقد عصى اللّه ومحمدٌ فرق بين الناس » [1] .

(١) أخرجه البخارى [٧٢٨١] .

لذلك يقول الحق سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ... ﴾ [الحديد : ١٢] .

ويقول سبحانه : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم ٨] .

أى : أن نورهم يضىء أمامهم . أما المنافقون فيقولون للذين آمنوا : ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ [الحديد : ١٣] .

أى : أن هذا ليس وقت التماس النور ، فوقت التماس النور كان فى الدنيا ؛ باتباع المنهج والقيام بالصالح من الأعمال .

ويصف الحق سبحانه حال المؤمنين فى الجنة فيقول : ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [يونس : ٩] .

إذن .. إن الجنة على حواف الأنهار ؛ لأن الخضرة أصلها من الماء . وكلما رأيت مجرى للماء لابد أن تجد خضرة ، والجنات ليست هى البيوت ، بدليل قول الحق سبحانه : ﴿ ... وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ [التوبة : ٧٢] .

ويقول الحق سبحانه فى آية أخرى : ﴿ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ... ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

ويقول سبحانه فى موضع آخر : ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ... ﴾ [البقرة : ٢٥] .

إذن .. الحق سبحانه يعطينا صوراً متعددة عن الماء الذى لا ينقطع ، فهى مياه ذاتية الوجود فى الجنة ؛ لا تنقطع أبداً .

ooo

الله يدعو إلى دار السلام ويهدى إليها من يشاء

يقول اللّٰه سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس : ٢٥] .

ودار السلام : هى الآخرة التى تختلف عن دار الدنيا المليئة بالمتاعب ، هذه الدنيا التى تزهو وتتزخرف ، وتنتهى إلى حطيم ؛ لذلك يدعو اللّٰه تعالى إلى دار أخرى ، هى دار السلام ؛ لأن من المنغصات على أهل الدنيا ، أن الواحد منهم قد يأخذ حظه جاهاً ، أو مالاً ، أو صحة ، ولكن فى ظل مكابدة أمرين ، الأول : هو الخوف من أن يفوته هذا النعيم وهو حى . والثانى : أن يفوت هو النعيم .

أما الآخرة فالإنسان يحيا فيها فى نعيم مقيم ؛ ولذلك يقول اللّٰه سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ ﴾ .

وهذه الآخرة لن يشاغب فيها أحد الآخر ، ولن تجد من يأكل حق غيره مثلما يحدث فى الدنيا ، وإذا كنا نعيش فى الدنيا بأسباب اللّٰه ، فنحن فى الآخرة نعيش باللّٰه سبحانه وتعالى ، فكل ما يخطر على بالك تجده أمامك .

وإذا كانت الأسباب تتنوع فى الدنيا وتختلف قدرات الناس فيها مع أخذهم بالأسباب ، فإنهم فى الآخرة يعيشون مع عطاء اللّٰه سبحانه دون جهد أو أسباب ؛ لأن دار السلام هى دار اللّٰه تعالى ، فاللّٰه تعالى هو السلام .

وانظر مثلًا لذلك - وللّٰه المثل الأعلى - فأنت إذا دعاك ولى أمرك إلى داره ، فهو يُعدّ لدعوتك على قدره هو ، وبما يناسب مقامه . فما بالك حين يدعوك خالقك سبحانه وقد اتبعت منهجه ؟

وهذا السلام ليس من البشر ؛ لأن من البشر من يعطيك السلام وهو يُكِنُّ لك غير السلام ، أو قد يعطيك السلام وهو يريد بك السلام ، ولكنه من الأغيار ؛ فيتغير ، وبالتالى لا يقدر على أن يعطيك هذا السلام ، لكن إذا ما جاء السلام من اللّٰه تعالى ، فهو سلام من رب لا يعجزه شىء ، ولا يعوزه شىء ، ولا تعتريه سبحانه أغيار ؛ لذلك يقول سبحانه : ﴿ ... وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم ... ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد] .

والملائكة حين يقولون ذلك إنما أخذوا سلامهم من سلام اللّٰه تعالى ، وحتى أصحاب الأعراف الذين لم يدخلوا الجنة ،

ويرون أهل الجنة وأهل النار ، هؤلاء يلقون السلام على أهل الجنة . وهكذا يحيا أهل الجنة فى سلام شامل ومحيط مطمئن ؛ لأن الداعى هو اللّٰه سبحانه ، ولا أحد يجبره على أن ينقض سلامه .

ودعوة اللّٰه سبحانه هى منهجه الذى أرسل به الرسل ؛ ليحكم به حركة الحياة ، ليتعايش فيها الناس تعايشاً على وفق منهج اللّٰه تعالى ، بما يجعل هذه الدنيا مثل الجنة ، ولكن الذى يصيب الناس بالضنك والكدر فى الدنيا ، أن بعض الناس يعطلون جزئية أو جزئيات من منهج اللّٰه سبحانه .

وأنت إذا رأيت مجتمعاً فيه لون من الشقاء فى أى جهة ؛ فاعلم أن جزءاً من منهج اللّٰه تعالى قد عُطِّل .

ولو أن الناس قد ساروا على منهج اللّٰه سبحانه وتعالى ؛ لما كان بالمجتمع عورة واحدة ؛ فالذى يظهر عورات المجتمع هو غفلة بعض الناس عن منهج اللّٰه سبحانه .

وإذا رأيت فقراء لا يجدون ما يأكلونه ؛ فاعلم أن هناك من عطل منهج اللّٰه تعالى ، إما من الفقراء أنفسهم ، الذين استمرأ بعضهم حياة الكسل والسؤال ، وإما أن الأغنياء قد ضنوا

بإعطاء حق اللّٰه تعالى فى هؤلاء الفقراء ؛ وبذلك يتعطل منهج اللّٰه سبحانه وتعالى . وصدق اللّٰه العظيم : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه] .

○ ○ ○

أسماء الجنات ومعانيها

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [البقرة : ٢٥] .

الجنات نفسها متنوعة ، فهناك جنات الفردوس ، وجنات عدن ، وجنات النعيم ، وهناك دار الخلد ، ودار السلام ، وجنة المأوى ، وهناك عِلِّيُون الذى هو أعلى وأفضل الجنات ، وأعلى ما فيها التمتع برؤية الحق تبارك وتعالى ، وهو نعيم يعلو كثيراً عن أى نعيم (١) .

---

(١) قال ابن القيم لها عدة أسماء باعتبار صفاتها :

الاسم الأول : **الجنة** ، وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين .

الاسم الثانى : **دار السلام** ، وقد سماها الله بهذا الاسم فى قوله : ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٢٧] .

قوله : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس : ٢٥] .

الاسم الثالث : **دار الخلد** ، وسميت بذلك لأن أهلها لا يظعنون عنها أبدًا كما قال تعالى : ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود : ١٠٨]،=

= وقال : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [سورة ص : ٥٤] ، وقال : ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد : ٣٥] ، وقال : ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر : ٤٨] .

الاسم الرابع : **دار المقامة** ، قال تعالى حكاية عن أهلها : ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ... ﴿٣٥﴾ ﴾ [فاطر] .

الاسم الخامس : **جنة المأوى** ، قال تعالى : ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ [النجم : ١٥] ، والمأوى مَفْعَل من أوى يأوى إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به .

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات] .

الاسم السادس : **جنات عدن** ، والصحيح أنه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن ، قال تعالى : ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [مريم : ٦١] ، وقال تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر : ٣٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ [التوبة : ٧٢] .=

= الاسم السابع : **دار الحيوان** ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

الاسم الثامن : **الفردوس** ، قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ... ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف] .

الاسم التاسع : **جنات النعيم** ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [لقمان : ٨] .

الاسم العاشر : **المقام الأمين** ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان : ٥١] .

الاسم الحادى عشر : **مقعد صدق** ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر] .

الاسم الثانى عشر : **قدم صدق** ، قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس : ٢] .

صحيح حادى الأرواح [ص : ٨٢ : ٨٧] بتصرف .

○○○

خلق الرب تبارك وتعالى بيده ... وغرسها بيده تفضيلًا لها على سائر الجنان

قال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه : خلق الله أربعة أشياء بيده : العرش ، والقلم ، وعدن ، وآدم عليه السلام ، ثم قال لسائر الخلق ، كُنْ ، فكان »[1] .

قال ابن كثير : روى عن كعب الأحبار ومجاهد وأبى العالية وغيرهم : لما خلق الله جنة عدن وغرسها بيده ، نظر إليها وقال لها : تكلمى ، قالت : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

قال كعب الأحبار : لما أعد لهم من الكرامة فيها .

وعن أبى سعيد قال : خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وغرسها ، وقال لها : تكلمى . فقالت : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ . فدخلتها الملائكة فقالت : طوبى لك منزل الملوك »[2] . =

(١) رواه الحاكم[٢/٣١٦] والبيهقى فى الأسماء والصفات[ص:٤٠٣]، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبى .

(٢) تفسير ابن كثير [٢/٢٣٨] وعند الطبرانى فى الأوسط [٤/٩٩] عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ ، إن الله خلق جنة عدن وبناها بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة =

= قال ابن القيم : وقد اتخذ الرب تبارك وتعالى من الجنان دارا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده فهى سيدة الجنان ، والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله ، كما اختار من الملائكة : جبريل ، ومن البشر : محمداً ﷺ وعلى آله وسلم ، ومن السموات : العليا ، ومن البلاد : مكة ، ومن الشهر : المحرم ، ومن الليالى : ليلة القدر ، ومن الأيام : يوم الجمعة ، ومن الليل : وسطه ، ومن الأوقات : أوقات الصلاة ، إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] .

ooo

= وجعل ملاطها المسك وترابها الزعفران وحصباؤها اللؤلؤ ، ثم قال لها تكلمى فقالت : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فقالت الملائكة : طوبى لك منزل الملوك » .

عن أبى هريرة رضى اللّٰه تعالى عنه قال : قلنا : يا رسول اللّٰه إنا إذا رأيناك رَقَّت قلوبنا وكُنا من أهل الآخرة ، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا ، وشَمِمْنا النساء والأولاد .

قال : « لو تكونون – أو قال : لو أنكم تكونون – على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى ، لصافحتكم الملائكة بأكفهم ، ولزارتكم فى بيوتكم ، ولو لم تذنبوا لجاء اللّٰه بقوم يذنبون كى يغفر لهم » .

قال قلنا : يا رسول اللّٰه حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟

قال : « لبنة ذهبٍ ولبنة فضةٍ ، وملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم لا يَبْؤُس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه . ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تُحْمَل على الغمام وتُفْتَح لها أبواب السموات ويقول الرب عز وجل : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين »[1] .

(١) رواه أحمد [٢/٣٠٤،٣٠٥] ، وقال الأرناؤوط حديث صحيح بطرقه وشواهده ، وبنحوه عند الترمذى [٢٥٢٦] وصححه الألبانى فى الصحيحة [٩٦٩] وفى صحيح الترمذى [٢٠٥٠] .

عن سهل بن سعد رضى اللَّه تعالى عنه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « فى الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون »[١] .

وعن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « من أنفق زوجين فى سبيل اللَّه ، نُودى من أبواب الجنة : يا عبد اللَّه هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعِى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعِى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، فقال أبو بكر : بأبى أنت وأمى يا رسول اللَّه ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال : نعم وأرجو أن تكون منهم »[٢] .

وعن عمر بن الخطاب رضى اللَّه تعالى عنه عن النبى صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « ما من مسلم يتوضأ فيحسن=

(١) أخرجه البخارى [٣٢٥٧] .

(٢) أخرجه البخارى [١٨٩٦] .

= وضوءه ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبلاً عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة . قال : فقلت ما أجود هذه فإذا قائل بين يدى يقول : التى قبلها أجود ، فنظرت فإذا عمر قال : إنى قد رأيتك جئت آنفًا . قال : ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا عبد اللَّه ورسوله إلا فُتِحَت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء »[١] . وزاد الترمذى بعد التشهد : « اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين »[٢] .

وعن عتبة بن عبد السلمى رضى اللَّه تعالى عنه ، قال : سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل »[٣] . =

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [١٧/٢٣٤] ، وأبو داود [١٦٩] ، وأحمد فى المسند [١٤٥/٤] .

(٢) رواه الترمذى [٥٥] وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٤٨/١] .

(٣) رواه أحمد [١٨٣/٤] ، والنسائى فى المجتبى [١٨٧٣/٢٤/٤] ، وابن ماجه [١٦٠٥] وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه [١٣٠٤] .

= وعن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه قال : « أُتِىَ رسول اللَّه ﷺ بلحم ، فرُفِعَ إليه الذِّراع - وكانت تُعجبه - فنهس منها نهسة ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون بم ذلك ؟ يجمع اللَّه يوم القيامة الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، فيُسمعهم الداعى ، وينفذُهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلُغُ الناس من الغمّ والكرب مالا يُطيقون ومالا يحتملون . فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما قد بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم ، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك اللَّه بيده ، ونفخ فيك من رُوحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربى غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى الأرض ، وسماك اللَّه عبدًا شكورا ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا تَرى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم : إن ربى عز وجل قد غضب اليوم غضبًا لم =

= يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لى دعوة دعوت بها على قومى ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى إبراهيم . فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبى اللَّه وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وذكر كذباته ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى فيقولون : يا موسى ، أنت رسول اللَّه ، فضلك اللَّه برسالته وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى : إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قتلت نفسًا لم أُومر بقتلها ، نفسى نفسى ، اذهبوا إلى عيسى . فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول اللَّه ، وكلمت الناس فى المهد ، وكلمة منه ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى : إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر له ذَنبًا - نفسى نفسى ، =

= اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى محمد ﷺ . فيأتونى فيقولون : يا محمد ، أنت رسول اللّه ، وخاتم الأنبياء ، وغفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق ، فآتى تحت العرش فأقع ساجدًا لربى عز وجل ، ثم يفتح اللّه علىَّ ويلهمنى من محامده وحُسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلى . ثم قال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سَلْ تُعطه ، اشفع تشفع . فأَرفع رأسى فأقول : يا رب أُمتى أُمتى ، فيقال : يا محمد ، أَدخِل الجنة من أُمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهَجَر ، أو كما بين مكة وبُصَرى »[1] .

وعن خالد بن عمير العدوى رضى اللّه تعالى عنه قال : خطبنا عتبة بن غزوان فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن الدنيا قد آذنت بصُرْم وولت حذَّاء ، ولم يبق منها إلا صُبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها ، وإنكم منتقلون منها إلى =

(١) أخرجه البخارى [٤٧١٢] ، ومسلم [٣٢٧/١٩٤] .

= دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ، فإنه قد ذُكِر لنا أن الحجر يلقى من شفة جهنم فيهوى فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعرًا ووالله لتملأنَّ أفعجبتم ، ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام »[1] .

وعن حكيم بن معاوية عن أبيه رضى اللّه تعالى عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم قال : « أنتم توفون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على اللّه عز وجل وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عامًا ، وليأتين عليه يوم وإنه لكظيظ »[2] .

وعن أنس بن مالك رضى اللّه تعالى عنه قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم : « أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر »[3] . =

(١) أخرجه مسلم [١٤/٢٩٦٧] ، والترمذى [٢٠٧٥] ، وابن ماجه [٤١٥٦] ، وأحمد فى المسند [١٧٤/٤] .

(٢) رواه أحمد [٣/٥] ، وصححه الألبانى فى الصحيحة [١٦٩٨] .

(٣) رواه أبو نعيم [١٨٢] ، وأحمد [٢٤٨/٣] بنحوه عن أنس رضى اللّه تعالى عنه ، وقال الأرناؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم .

= عن أنس رضى اللّٰه تعالى عنه قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم : « فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها »[1] .

وعن عاصم بن لقيط أن لقيط بن عامر خرج وافدًا إلى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم قال : « ... قلت : يا رسول اللّٰه فما الجنة والنار ؟ قال : لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا ، وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا »[2].

○○○

(١) رواه أبو نعيم [١٨٣] ، والحميدى فى مسنده [١٤٠٢] ، والترمذى [٣١٤٨] من حديث أبى سعيد الخدرى وانظر فتح البارى [٤٤١/١١] . وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢٥١٦] .

(٢) جزء من حديث رواه عبد اللّٰه بن أحمد بن حنبل فى المسند [١٣/٤] ، وابن أبى عاصم [٦٣٦] والحاكم فى المستدرك [٥٦٠/٤،٥٦١،٥٦٢،٥٦٣،٥٦٤] وقال : صحيح الإسناد كلهم مدنيون ؛ ولم يخرجاه .

عن أنس رضى اللّٰه تعالى عنه قال : « فيقول الخازن : بك أُمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك »[1] وذلك أن قيامه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم خاصة إظهار لمزيته ورتبته .

وعن أبى هريرة رضى اللّٰه تعالى عنه ، عنه صلى اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أن امرأة تبادرنى فأقول لها : مالك ومن أنت ؟ فتقول : أنا امرأة قعدت على يتامى »[2] .

وعن أنس رضى اللّٰه تعالى عنه قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة »[3] .

○○○

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [١٩٧/٣٣٣] .

(٢) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد [١٦٢/٨] وقال : رواه أبو يعلى وفيه عبد السلام بن عجلان وثقه أبو حاتم وابن حبان .

(٣) أخرجه مسلم [١٩٦/٣٣١] .

بوابى الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم

قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾[1] [الزمر : ٧٣] .

وعن أنس رضى اللّٰه تعالى عنه قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أُمِرتُ لا أفتح لأحدٍ قبلك »[2] .

وعن أبى هريرة رضى اللّٰه تعالى عنه : « من أنفق زوجين فى سبيل اللّٰه نودى من أبواب الجنة يا عبد اللّٰه هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة » .
فقال أبو بكر : بأبى أنت وأمى يا رسول اللّٰه ما على من دعى =

(١) والخَزَنَة جَمْعُ خازن ، مثل حفظة وحافظ ، وهو المؤتمن على الشيء الذى قد استُحْفِظَه .
(٢) أخرجه مسلم [٣٣٣/١٩٧] .

= من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها .
قال : نعم .
« وأرجو أن تكون منهم »[1] .

قال ابن القيم : لما سمت همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان ، وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها ، سأل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : هل يحصل ذلك لأحد من الناس ؟ ليسعى فى العمل الذى ينال به ذلك . فخبره بحصوله وبشره بأنه من أهله . وكأنه قال : هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها ؟
فلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس !! .

قد سَمَّى الله سبحانه وتعالى كبير هذه الخزنة : رضوان ، وهو اسم مشتق من الرضا ، وسمى خازن النار : مالكا ، وهو اسم مشتق من الملك وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه .

○○○

(١) أخرجه البخارى [١٨٩٧] ، ومسلم [٨٦/١٠٢٧] .

أنهار الجنـة وعيونها

يقول اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد : ١٥] .

فالحق سبحانه وتعالى يطمئننا هنا بأن أنهار الجنة ستختلف عن أنهار الدنيا فهو سبحانه سينزع منها الصفة التى قد تعكر نهريتها ؛ فقد تقف مياه النهر وتصبح آسنة متغيرة ، فيقول سبحانه : ﴿ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ .

إذن .. فهو سبحانه يعطينى اسماً موجوداً وهو النهر ، وكلنا نعرفه ، لكنه يخبرنا سبحانه أنه سينزع منه الأكدار التى نراها فى النهر الحادث فى الحياة الدنيا ، وأيضاً فأنهار الدنيا تسير وتجرى فى شق بين شاطئين ، لكن أنهار الجنة سيجرى الماء فيها وليس لها شواطئ تحجز الماء لأنها تجرى بقدرة اللّه تعالى .

وسيكون أيضًا فى الجنة أنهارًا من لبن لم يتغير طعمه .

إن العربى كان يأخذ اللبن من الإبل ويخزنه فى القِرَب ،

وبعد ذلك ترحل الإبل بعيداً إلى المراعى وإلى حيث تسافر ، وعندما كان الأعرابى يحتاج إلى اللبن فلم يكن أمامه غير اللبن المخزن فى القرب ، ويجده متغير الطعم لكنْ لا يجد غيره ؛ لذلك يوضح الحق سبحانه أن فى الجنة أنهارًا : ﴿ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ﴾ .

ثم يقول سبحانه : ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ ﴾ وهم يعرفون الخمر ، ولنفهم أنها ليست كخمر الدنيا ؛ لأنه يقول : ﴿ مَّثَلُ ﴾ ، ولم يقل على الحقيقة .

وقوله : ﴿ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ خمر الدنيا لا يشربها الناس بلذة ، بدليل أنك عندما ترى من يشرب كأس خمر ، فهو يسكبه فى فمه مرة واحدة ! ليس كما تشرب أنت كوبًا من مانجو وتتلذذ به ، إنه يأخذه دفعة واحدة ليقلل سرعة مروره على مذاقاته لأنه لاذع ؛ كما أن خمر الدنيا تغتال العقول وتفسدها . لكن خمر الآخرة لا اغتيال فيها للعقول ، وهى : ﴿ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ .

إذن .. فحين يعطينى الحق سبحانه مثلاً للجنة ، فهو ينفى عن المثل الشوائب ، ولذلك تجد الأمثال تتنوع فى هذا المجال ؛ فالعربى عندما كان يمشى فى الهاجرة ، ويجد شجرة « نبق »

وهى التى يقال لها : ﴿ سِدْرٍ ﴾ كان يعتبرها واحة يستريح عندها ، ويجد عليها النبق الجمبل ، فهو يمد يده ليأكل منها ، ولكنّه قد يجد شوكاً فيتفادى هذا الشوك قدر استطاعته ، وعندما لا يجد فى هذا الشجر شوكاً يقول : هذا ﴿ سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ أى شجرة نبق لا شوك فيها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ قد كان العرب يأخذون العسل من الجبال ، فالنحل يصنع خلاياه داخل شقوق الجبال ، وعندما كانوا يخرجون العسل من الجبال يجدون فيه رملاً وحصى ، وكأن اللّه سبحانه يقول : إن ما يعكر عليك العسل هنا فى الدنيا سأصفيه لك هناك فى الجنة .

ولسائل أن يسأل فيقول : ولماذا مثّل ؟ نقول : لأنه مادام نعيم الجنة « ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[1] ، فتكون لغة البشر كلها لا تؤدى ما فيها ، لكنه سبحانه يعطينا صورة مقربة ، ويضرب اللّه المثل بالصورة المقربة للأشياء التى تتعالى عن الفهم ليقربها من العقل ، ومثال ذلك عندما أراد سبحانه أن يعطينا صورة لتنوير اللّه للكون ،

(١) سبق تخريجه .

وليس لنور اللّه الذاتى ، قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٥] .

إنه سبحانه يعطينا مثلاً مقرباً ، لأن لغتنا ليس فيها الألفاظ التى تؤدى المعنى الحقيقى ، لأنها لغة خاصة بالدنيا التى نعيش فيها ، لا بالآخرة وما فيها .

ولذلك قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ .

وما دامت جنات ففيها شجر ملتف وعالٍ ، ونحن نعرف أن الشجر لابد أن يكون فى منطقة فيها مياه ؛ لذلك قال : ﴿ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ ومرة يقول : ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [البقرة : ٢٥] لأن ما يجرى تحتها قد يكون آتياً من مكان آخر ، ويكون منبعها من مكان بعيد وتجرى الأنهار تحت جنّتك ، وقد تظن أن بإمكان صاحب النبع أن

يسدّه على جنتك ، فيطمئنك الحق سبحانه : أنها جاءت من تحتها مباشرة (١) .

(١) قال ابن القيم : قد تكرر فى القرآن فى عدة مواضع قوله تعالى : ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [البقرة : ٢٥] .
وفى موضع : ﴿ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .
وفى موضع : ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الكهف : ٣١] .
وهذا يدل على أمور :
أحدها : ووجود الأنهار فيها حقيقة .
الثانى : أنها جارية لا واقفة .
الثالث : أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود فى أنهار الدنيا ، فإن أنهار الجنة وإن جرت فى غير أخدود(١) فهى تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار وهو سبحانه لم يقل من تحت أرضها .
وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس فى الدنيا فقال : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ ﴾ [الأنعام : ٦] ، فهذا على=

(١) أخدود : حفرة مستطيلة فى الأرض . والمقصود هنا مجرى النهر .

= ما هو المعهود المتعارف ، وكذلك ما حكاه من قول فرعون : ﴿ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ﴾ [الزخرف : ٥١] وقال تعالى : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [الرحمن : ٦٦] عن سعيد قال : نضاختان(١) بالماء والفواكه .
وعن أنس قال : نضاختان بالمسك والعنبر ، ينضخان على دور أهل الجنة ؛ كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا ، وعن البراء قال : اللتان تجريان أفضل من النضاختين .
وقال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد : ١٥] ، فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التى تعرض له فى الدنيا :
فآفة الماء : أن يأسن ويأجن من طول مكثه .
وآفة اللبن : أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصًا .
وآفة الخمر : كراهة مذاقها المنافى للذة شربها . =

(١) نضاختان : فوارتان .

= وآفة العسل عدم تصفيته .

وهذا من آيات الرب تعالى أن تجرى أنهار من أجناس لم تجرِ العادة فى الدنيا بإجرائها ويجريها فى غير أخدود ، وينفى عنها الآفات التى تمنع كمال اللذة بها ، كما ينفى عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغَوْل[1] واللغو والإنزاف[2] وعدم اللذة .

فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا : تغتال العقل ، ويكثر اللغو على شربها ، بل لا يطيب لشُرَّابها ذلك إلا باللغو ، وتنزف فى نفسها وتنزف المال ، وتصدع الرأس وهى كريهة المذاق ، وهى رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتدعو إلى الزنا وربما دعت إلى الوقوع على البنت أو الأخت وذوات المحارم وتذهب الغيرة وتورث الخزى والندامة والفضيحة ، وتُلْحِق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين ، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات وتكسوه أقبح الأسـماء والصـفات ، =

(1) الغَوْل : الصُّداع والسُّكْر ، وفسره البخارى بأنه وجع البطن .

(2) الإنْزَاف : ذهاب العقل أو السُّكْر .

= وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذى فى إفشائه مضرته أو إهلاكه ، ومؤاخاة الشياطين فى تبذير المال الذى جعله الله قيامًا له ولم يلزمه مؤنته ، وتهتك الأستار وتظهر الأسرار ، وتدل على العورات ، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم وتخرج من القلب تعظيم المحارم ، ومدمنها كعابد وثن[1] ، وكم أهاجت من حرب ، وأفقرت من غنى ، وأذلت من عزيز ، ووضعت من شريف ، وسلبت من نعمة ، وجلبت من نقمة ، وفسخت مودة ، ونسجت عداوة ، وكم فرقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلُبِّه ، وكم أورثت من حسرة وأجرت من عَبْرة ، وكم أغلقت فى وجه شاربها بابًا من =

(1) إشارة لحديث رسول الله ﷺ « مدمن الخمر كعابد وثن » رواه ابن ماجه [٣٣٧٥] من حديث أبى هريرة ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير [٥٨٦١] ، وحسَّنه فى صحيح ابن ماجه [٢٧٢٠] وروى أحمد عن ابن عباس [٢٧٢/١] ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مدمن الخمر إن مات لقى الله كعابد وثن » وقال عنه الألبانى فى الصحيحة [٦٧٧] : فالحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح والله أعلم ا.هـ .

= الخير وفتحت له بابًا من الشر ، وكم أوقعت فى بليةٍ وعجلت من منية ، وكم أورثت من خزية ، وجرت على شاربها من محنة ، وجرت عليه من سفلة . فهى جماع الإثم ومفتاح الشر وسَلّابة النعم وجالبة النقم .

ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هى وخمر الجنة فى جوف عبدٍ لكفى كما ثبت عنه ﷺ أنه قال : « من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة »[1] .

وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرناه وكلها منتفية عن خمر الجنة .

فإن قيل : فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية ومعلوم أن الماء الجارى لا يأسَن[2] فما فائدة قوله : ﴿ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ .

قيل الماء الجارى وإن كان لا يأسن فإنه إذا أخذ منه شىء وطال مكثه أسن ، وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولوطال مكثه ما طال . =

(١) رواه ابن ماجه [٣٣٧٤] وصححه الألبانى فى الصحيحة [٣٨٤] وفى صحيح ابن ماجه [٢٧١٩] والحديث عند مسلم [٢٠٠٢/٧٨] ولكن بزيادة « إلا أن يتوب » .

(٢) يأسن : يتغير .

= وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التى هى أفضل أشربة الناس ؛ فهذا لشربهم وطهورهم ، وهذا لقوتهم وغذائهم ، وهذا للذتهم وسرورهم ، وهذا لشفائهم ومنفعتهم . والله أعلم .

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها كما روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين فى سبيله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة »[1] .

وروى الترمذى نحوه من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ، ولفظ حديث عبادة : « الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام ، والفردوس أعلاها درجة ، ومنها الأنهار الأربعة والعرش فوقها ، فإن سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى »[2] . =

(١) أخرج البخارى [٢٧٩٠] ، وفى التوحيد [٧٤٢٣] بنحوه .

(٢) رواه الترمذى من حديث عبادة [٢٥٣١] ولفظه : « فى الجنة مائة درجة ... » وصححه الألبانى فى الصحيحة [٩٢٢] ، وفى صحيح الترمذى [٢٠٥٦] .

= وفى صحيح البخارى من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « رُفِعَتْ إلىَّ سدرة المنتهى فى السماء السابعة ، نبقها مثل قِلال هجر[1] ، وورقها مثل آذان الفيلة ، يخرج من ساقها نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فقلت : يا جبريل ، ما هذا ؟ قال : أما النهران الباطنان ففى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات[2] »[3] .
=

(١) قِلال هَجَر : قِلال جمع قُلَّة وهى الجرة العظيمة ، وهَجَر هنا هى قرية قريبة من المدينة بها صناعة القِلال ، وهى غير هَجَر البحرين .

(٢) قال الحافظ بن حجر فى فتح البارى [٢١٤/٧] « قال النووى : فى هذا الحديث إن أصل النيل والفرات من الجنة ، وأنهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى ثم يسيران حيث شاء الله ، ثم ينزلان إلى الأرض ثم يسيران فيها ، ثم يخرجان منها ، وهذا لا يمنعه العقل وقد شهد به ظاهر الخبر فليعتمد » ثم قال الحافظ أيضًا : « والحاصل أن أصلها – يقصد سدرة المنتهى – فى الجنة وهما يخرجان أولًا من أصلها ثم يسيران إلى أن يستقرا فى الأرض ثم ينبعان . واستدل به على فضيلة ماء النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة .

(٣) أخرجه البخارى [٣٢٠٧] وفى مناقب الأنصار [٣٨٨٧] .

= وفى صحيحه أيضًا من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال : « بينا أنا أسير فى الجنة ، إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك ربك ، قال فضرب الملك يده فإذا طينه مسك أذْفَر[1] »[2] .

وفى صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : « الكوثر نهر فى الجنة وعدنيه ربى عز وجل »[3] .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « دخلت الجنة فإذا بنهر يجرى ، حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت يدى إلى ما يجرى فيه من الماء فإذا أنا بمسك أذْفَر ، قلت : ما هذا يا جبريل قال : هذا الكوثر الذى أعطاك الله عز وجل »[4] .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « الكوثر نهر فى الجنة ، حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت ، تربته=

(١) أذْفَر : طيب وجيد للغاية .

(٢) أخرجه البخارى [٦٥٨١] .

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم [٤٠٠/٥٣] .

(٤) أخرجه البخارى [٦٥٨١] بنحوه من طريق قتادة عن أنس ، ورواه أحمد فى المسند [١١٥،١٠٣/٣] من طريق حميد عن أنس .

= أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج »[1] .

وفى جامع الترمذى من حديث حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبى ﷺ قال : « إن فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ، ثم تشقق الأنهار بعد »[2] قال هذا حديث حسن صحيح .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من سره أن يسقيه الله عز وجل من الخمر فى الآخرة فليتركه فى الدنيا ، ومن سره أن يكسيه الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا ، وأنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ، ولو كان أدنى أهل الجنة حليةً عُدِلَتْ بحلية أهل الدنيا جميعًا لكان ما يحليه الله به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعًا »[3] . =

(١) رواه الترمذى [٣٣٦١] ، وابن ماجه [٤٣٣٤] ، وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه [٣٤٩٨] .

(٢) رواه الترمذى [٢٥٧١] ، وأحمد [٥/٥] وصححه الألبانى فى صحيح الجامع [٢١٢٢] وفى صحيح الترمذى [٢٠٧٨] .

(٣) عزاه ابن القيم للحاكم ، وكذلك عزاه ابن كثير للبيهقى والحاكم « نهاية البداية والنهاية » [٢/٢٩٠-٢٩٩] وعزاه =

= بهذا اللفظ أيضًا الزبيدى فى تخريج الإحياء [٤٢٠١] إلى البيهقى فى البعث والنشور وابن عساكر فى التاريخ وبنحوه عند الحاكم . وقد قَسَّمَ الحافظ العراقى الحديث إلى ثلاثة أجزاء : « من سره ... الدنيا » وقال عنه : رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن والنسائى بإسناد صحيح .

« أنهار الجنة ... المسك » وقال عنه : رواه العقيلى فى الضعفاء من حديث أبى هريرة ، وقال الزبيدى فى هذا الجزء ، رواه أبى حاتم وابن حبان والطبرانى والحاكم وابن مردويه والبيهقى فى البعث من حديث أبى هريرة ، وروواه ابن أبى شيبة وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن حبان فى التفسير والبيهقى فى البعث وصححه عن ابن مسعود ا.هـ .

قلت : قال البيهقى فى « البعث والنشور » [٢٦٧] : هذا موقوف صحيح . وكذلك قال ابن القيم ، وكذلك قال ابن كثير فى نهاية البداية والنهاية [٢/٢٩١] : وهذا الموقوف أصح ا.هـ .

والجزء الثالث من الحديث : « لو كان أدنى أهل الجنة حلية ... جميعًا » فقال عنه الحافظ العراقى : رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة بإسناد حسن ا.هـ . =

= وعن عبد الله قال : « إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك »[1] وهذا موقوف صحيح .

وعن مسروق فى قوله تعالى : ﴿ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾ [الواقعة : ٣١] قال : أنهار تجرى فى غير أخدود[2] .

=

= وقد تعقب الزبيدى الحافظ العراقى فى تجزئة الحديث .

فائدة : قال محقق « صفة الجنة لأبى نعيم » عن إسناد العقيلى فى حديث أبى هريرة : « أنهار الجنة تفجر من تلال أو من تحت جبال مسك » : وهذا إسناد حسن ا.هـ . وكذلك جَوَّد إسناد أبى نعيم [٣١٣ ٢/١٦٥] وهما مرفوعان لا موقوفان .

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه الطبرى [٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٧/٢٨٤/١، ٣٨٦] طبعة دار المعارف بتحقيق أحمد شاكر ، وعزاه محقق صفة الجنة لأبى نعيم إلى ابن أبى شيبة وابن قتيبة فى غريب الحديث ، والزهد لابن المبارك والطبرى ، وصحح إسناده عند أبى نعيم [٣١٥/٢/١٦٧] ولفظه : « أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود ، وثمرها كالقلال ، كلما أُخِذَتْ ثمرة عادت مكانها أخرى ، والعنقود اثنا عشر ذراعًا » ولكنه عن أبى عبيدة عن مسروق وهو تابعى جليل .

= وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « سَيْحَان[1] وجَيْحَان[2] والفرات والنيل كلٌّ من أنهار الجنة »[3] .

وعن ابن عباس قال : « إن فى الجنة نهرًا يقال له البَيْذَخ عليه قبابٌ من ياقوت تحته جَوَارٍ ، يقول أهل الجنة : انطلقوا بنا إلى البَيْذَخ فيتصفحون تلك الجوارى ، فإذا أعجب رجلًا منهم جارية مس معصمها فتتبعه »[4] .

عيون الجنة وطيب نكهتها ومذاقها :

وأما العيون فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر : ٤٥] .

=

---

(١) سَيْحَان : نهر بأضنة وهى فى تركيا حاليًا .

(٢) جَيْحَان : نهر بالمصيصة وهى فى تركيا حاليًا .

(٣) أخرجه مسلم [٢٨٣٩/٢٦] .

(٤) عزاه الزبيدى فى تخريج الإحياء [٤٢١٦] لابن أبى الدنيا فى « صفة الجنة » . وكذلك رواه أبو نعيم فى صفة الجنة [٣٢٤ ٢/١٧٣] وقال المحقق . إسناده موقوف جيد ا.هـ . والبيذخ فى اللغة تعنى : العظيم أو البادن السمين .

= وقال الحق تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان] .

وقد اختلف فى قوله : ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ . فقال الكوفيون الباء بمعنى مِن ، أى يشرب منها . وقال آخرون : بل معنى يشرب بها أى يروى بها فلما ضَمَّنَه [1] معناه عداه تعديته وهذا أصح وألطف وأبلغ .

وقالت طائفة : الباء للظرفية والعين اسم للمكان كما تقول كنا بمكان كذا وكذا . ونظير هذا التضمين قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ [الحج : ٢٥] ضُمِّنَ معنى يَهِمّ فَعُدِّىَ تعديته .

وقال تعالى : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ . فأخبر سبحانه عن العين التى يشرب بها المقربون صرفًا أن شراب الأبرار يمزج منها لأن أولئك=

(1) ضَمَّنَه : جعله متضمنًا . والمقصود أن الفعل ﴿ يَشْرَبُ ﴾ لما اشتمل على معنى الرُّوِىّ تعدى بالباء كما يتعدى فعل روى بالباء فيقال روى باللبن أو الماء .

= أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم ، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم ، ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين] .

فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين بالكافور فى أول السورة والزنجبيل فى آخرها ، فإن فى الكافور من البرد وطيب الرائحة ، وفى الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ، ما يُحْدِثُ لهم باجتماع الشرابين ومجىء أحدهما على إثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ، ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر . وما ألطف موقع ذكر الكافور فى أول السورة والزنجبيل فى آخرها فإن شرابهم مزج أولًا بالكافور وفيه من البرد ما يجىء الزنجبيل بعده فيعدله .

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى وأنهما نوعان لذيذان من الشراب :

أحدهما : مُزِجَ بالكافور .

والثانى : مُزِجَ بزنجبيل .

= وأيضًا فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف والإيثار والصبر والوفاء بجميع الواجبات التي نبه على وفائهم بأضعفها وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر، على الوفاء بأعلاها وهو ما أوجبه الله عليهم، ولهذا قال : ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان : ١٢] فإن في الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سعة الجنة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة . وجمع لهم بين النضرة والسرور وهذا جمال ظواهرهم وهذا حال بواطنهم كما جمّلوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام وبواطنهم بحقائق الإيمان .

ونظيره قوله في آخر السورة : ﴿ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ فهذه زينة الظاهر، ثم قال : ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان : ٢١] فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص .

نظيره قوله تعالى لأبيهم آدم عليه السلام : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝ ﴾[1] [طه] . =

(١) لا تضحى : لا يصيبك الضُّحى وهو حر الشمس .

= فَضَمِنَ له أن لا يصيبه ذلك الباطن بالجوع ولا ذل الظاهر بالعرى وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ ولا حر الظاهر بالضُّحى .

ونظير هذا ما عدده على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباسًا يوارى سوآتهم ويزين ظواهرهم ، ولباسًا آخر يزين لهم بواطنهم وقلوبهم ، وهو لباس التقوى وأخبر أنه خير اللباسين[1] .

وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظًا من كل شيطان مارد فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحراسة .

وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر ثم أخبر أن خير الزاد الزاد الباطن وهو التقوى .

وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾ [يوسف : ٣٢] . فأرتهن حسنه وجماله ثم قالت : ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ [يوسف : ٣٢] . فأخبرتهن بجمال بطانه وزينته بالعفة وهذا كثير في القرآن لمتأمله .

صحيح حادى الأرواح [ص : ١٦٢ : ١٧١] .

○○○

(١) إشارة لقوله تعالى : ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف : ٢٦] .

أشجار الجنة وظلالها

قول الحق سبحانه : ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ [النساء : ٥٧] .

لغة العرب إذا أرادت أن تؤكد معنى فهى تأتى بالتوكيد من اللفظ نفسه ، فيقول العربى مثلاً : « هذا ليل أليل » أى ليل حالك ، وعندما يبالغ فى « الظل » يقول : « ظليل » . وما هو « الظل » ؟ « الظل » هو : انحسار الشمس عن مكان كانت فيه ، أو لم تدخله الشمس أصلاً ، كأن يكون الإنسان داخل كهف أو غار مثلاً .

إن كلمة « ظل ظليل » يعرفها الذين يعيشون فى الصحراء ، فساعة يرى الإنسان شجرة فهو يجلس تحتها ويتمتع بظلها ، والظل نفسه قد يكون ظليلاً ، مثال ذلك : « الخيام المكيفة » التى يصنعونها الآن ، وتكون من طبقتين : الطبقة الأولى : تتعرض للشمس فتتحمل السخونة، والطبقة الثانية تحجز السخونة ، ويسمون هذا السقف « السقف المزدوج » . ويوجد خاصة فى الأماكن العالية ؛ لأن المسكن الذى تعلوه أدوار يكون محمى ، لكن المسكن الموجود فى آخر دور خصوصاً فى البلاد الحارة تكون السخونة فيه صعبة وشديدة ؛

لذلك يصنعون سقفاً فوق السقف ، حتى يكون الظل نفسه فى ظل .

ولماذا الإنسان يسعد بالظل تحت شجرة أكثر من سعادته بالظل فى جدار ؟ لأن الظل فى جدار مكون من طبقة واحدة ، صحيح أنه يمنع عنا الشمس لكنه أيضاً يحجب الهواء ، لكن الجلوس فى ظل الشجرة يتميز بأن كل ورقة من أوراق الشجرة فوقها ورقة ، وأوراقها بعضها فوق بعض ، وكل ورقة فى ظل الورقة الأعلى . ولأن كل ورقة خفيفة لذلك يداعبها الهواء ، فتحجب عن الجالس تحت الشجرة حرارة الشمس ، وتعطيه الهواء ، هذا هو معنى : ﴿ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ .

ولذلك فعندما أراد الشاعر أن يصف دوحة فى وادٍ قال :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ ... سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا ... ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنّى واجهتنا ... فيحجبها ويأذن للنسيم

والشاعر هنا يصف الموقف حين يسير الإنسان فى صحراء ثم

ينزل فى وادٍ به دوح وهذا الدوح يحنو على الإنسان حنو الأم على طفلها فى سن الفطام . وأنه قد سقاهم من مائه ما يلذ . وتصد الشمس عنهم الأشجار الكثيفة ،والنسيم يمر بين أوراق الشجر . وهكذا نفهم أن كلمة : « ظل ظليل » ، أى : أن الظل فى ذاته مظلل [1] .

(١) قال ابن القيم : قال الله تعالى : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝ ﴾ [الواقعة] .

وقال تعالى : ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ [الرحمن : ٤٨] وهو جمع فان وهو الغصن .

وقال : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن : ٦٨] .

والمخضود : الذى قد خُضِّدَ شوكه أى نُزِع وقُطِع فلا شوك فيه ، هذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة ، واحتج هؤلاء بحجتين :

إحداهما : أن الخضد فى اللغة القطع وكل رطب قضبته فقد خضدته ، وخضدت الشجر إذا قطعت شوكه فهو خضيد ومخضود ، ومنه الخَضَد على مثال الثمر وهو كل ما قُطِع=

= من عود رطب خضد بمعنى مخضود كقبض وسلب ، والخضاد شجر رخو لا شوك فيه .

الحجة الثانية : عن عتبة بن عبد السلمى قال : « كنت جالسًا مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابى فقال : يا رسول الله أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرةً أكثر شوكًا منها – يعنى الطلح – فقال رسول الله ﷺ : « إن الله جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس [1] الملبود [2] فيها سبعون لونًا من الطعام لا يشبه لونٌ آخر » [3]

الملبود : الذى قد اجتمع شعره بعضه على بعض .

وعن سليم بن عامر قال : « كان أصحاب رسول الله ﷺ=

(١) التيس : ذكر الظباء والوعول والماعز .

(٢) الملبود : المكتز اللحم الذى لزم بعضه بعضًا فتلبد .

(٣) رواه ابن أبى داود فى « البعث والنشور» [٦٩ ص : ٩٧] ورواه أيضا أبو نعيم فى صفة الجنة [٣٤٧ ١٩٣/٣/٣،١٩٤] ؛ وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد [٤١٤/١٠] رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح ا.هـ . وقد صححه الحوينى فى تحقيقه للبعث والنشور لابن أبى داود ، كما صححه أيضًا محقق صفة الجنة لأبى نعيم .

= يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم . أقبل أعرابى يومًا فقال : يا رسول الله ذكر الله فى الجنة شجرة مؤذية وما كنت أرى فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها . قال رسول الله ﷺ : « وما هى ؟ » قال : السدر[1] فإن له شوكًا مؤذيًا ، قال : أليس الله يقول : ﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ ؟ خَضَّدَ الله شوكه فجعل مكان كل شوكةٍ ثمرة »[2] .

وقالت طائفة : المخضود هو الموقر حملًا ، وأربابه ذهبوا إلى أن الله سبحانه وتعالى لما خضد شوكه وأذهبه وجعل مكان كل شوكة ثمرة أوقرت بالحمل .

والحديثان المذكوران يجمعان القولين .

وكذلك قول من قال : « المخضود لا يعقر[3] اليد ولا يرد اليد=

(١) السِّدْر : شجر النبق .

(٢) رواه نعيم بن حماد فى زياداته على « الزهد » لابن المبارك [٢٦٣ ص : ٧٤] وقال الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب [٤/ ٩٧٨،٩٧٩ ٧٧] : رواه ابن أبى الدنيا وإسناده حسن ا.هـ . وعزاه الزبيدى فى تخريج الإحياء [٤٢٠٣] إلى الحاكم فى المستدرك وصححه والبيهقى فى البعث .

(٣) يَعْقِر : يجرح .

= عنه شوك ولا أذى فيه » فسره بلازم المعنى .

معنى قوله تعالى : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ [الواقعة : ٢٩] .

وأما الطلح فأكثر المفسرين قالوا : إنه شجرة الموز .

قال مجاهد : أعجبهم طلح وَجّ[1] وحُسْنه فقيل لهم : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ وهذا قول على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وابن عباس وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى .

وقالت طائفة أخرى : بل هو شجر عظام طوال وهو شجر البوادى الكثير الشوك عند العرب . ولهذا الشجر نَوْر[2] ورائحة وظل ظليل ، وقد نُضِّد بالحمل والثمر مكان الشوك .

وقال ابن قتيبة : هو الذى نُضِّد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره فليس له ساق بارز[3] .

وقال مسروق : ورق الجنة نضيد[4] من أسفلها إلى أعلاها=

(١) وَجّ : وادٍ بقرب الطائف ، وكان به شجر كثيف .

(٢) نَوْر : زهر أبيض .

(٣) بارز : ظاهر ، والمقصود أن ساق هذا الشجر قد تغطت تمامًا بالورق والثمر .

(٤) نضيد : بعضه فوق بعض .

= وأنهارها تجرى من غير أخدود .

وقال الليث : الطلح شجر أم غَيْلان[1] لها [2] شوك أحجن ، من أعظم العِضَاة [3] شوكًا وأصلبه عودًا وأجوده صمغًا .

قال أبو إسحاق : يجوز أن يعنى به شجر أم غيلان لأن له نَوْرًا طيب الرائحة جدًا ، فوُعِدُوا بما يحبون مثله ، إلا أن فضله على ما فى الدنيا كفضل سائر ما فى الجنة على سائر ما فى الدنيا فإنه ليس فى الجنة مما فى الدنيا إلا الأسامى .

والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده وإلا فالطلح فى اللغة هو الشجر العظام من شجر البوادى . والله أعلم .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :=

(١) أم غَيْلان : هى شجرة السَّمُر وهى من أطول الأشجار وأكثرها ورقًا وأعظمها خضرة ولها ظل عظيم ومن أفضل الشجر صمغًا ولا تنبت إلا بأرض خصبة .

(٢) فى الأصل « ليس له » وما أثبته هنا من لسان العرب نقلًا عن الليث « لسان العرب [٢٦٨٦/٤] وبه يستقيم السياق .

(٣) العِضَاه : شجر الشوك وقيل ما عظم منه .

= « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، فأقرأوا إن شئتم ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾[1] [الواقعة : ٣٠] .

وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال : « إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها » قال أبو حازم : فحدثنا به النعمان ابن أبى عياش الزرقى فقال : حدثنى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المُضَمَّر[2] السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها »[3] .

وعن ابن عباس قال : « الظل الممدود شجرة فى الجنة على ساقٍ قدر ما يسير الراكب المُجد فى ظلها مائة عام فى كل نواحيها ، فيخرج إليها أهل الجنة : أهل الغرف وغيرهم =

(١) أخرجه البخارى [٤٨٨١] واللفظ له ، ومسلم [٦/٢٨٢٦] بنحوه .

(٢) الجواد المضمر : الفرس الفائق السرعة الذى قُلِّل علفه تدريجيًا ليشتد جريه .

(٣) أخرجه البخارى [١١/٦٥٥٢،٦٥٥٣ ٤٢٣،٤٢٤] ، ومسلم [٦/٢٨٢٦]

= يتحدثون فى ظلها ، قال فيشتهى بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل اللَّه ريحًا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا »(1) .

وفى جامع الترمذى من حديث أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « ما فى الجنة شجرةٌ إلا وساقها من ذهب »(2) . قال : هذا حديث حسن .

وعن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « يقول اللَّه : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، اقرأوا إن شئتم =

---

(1) قال المنذرى فى الترغيب والترهيب [54 4/966] : رواه ابن أبى الدنيا موقوفًا من طريق زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام وقد صححها ابن خزيمة والحاكم وحسنها الترمذى ا.هـ . وعزاه ابن كثير فى تفسيره [6/8] لابن أبى حاتم ثم قال : هذا أثر غريب . وإسناده جيد قوى حسن ا.هـ . وعزاه الزبيدى فى تخريج الإحياء [4202] لابن أبى حاتم وابن مردويه .

(2) رواه الترمذى [2525] ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير [5647] ، وفى صحيح الترمذى [2049] .

= ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(1) [السجدة : 17] .

وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرأوا إن شئتم ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ وموضع سوط(2) من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرأوا إن شئتم : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾(3) [آل عمران : 185] .

وعن أبى سعيد الخدرى : « أن رجلًا قال : يا رسول اللَّه طوبى لمن رآك وآمن بك ، فقال : طوبى لمن رآنى وآمن بى ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى ، فقال رجل : يا رسول اللَّه وما طوبى ؟ قال : شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب=

---

(1) جزء من حديث أخرجه البخارى فى بدء الخلق [3244] ، ومسلم فى الجنة [2824/2،3،4] .

(2) موضع سوط : قدر سوط : أى الموضع الذى يسع السوط من الجنة .

(3) رواه الترمذى [3292] بتمامه ، وحسَّن الألبانى إسناده فى الصحيحة [1978] . وصحيح الترمذى [2624] .

= أهل الجنة تخرج من أكمامها [1] »[2] .

وعن ابن عباس قال : « نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر ، وكَرَبُها [3] ذهب أحمر وسَعَفها[4] كسوة لأهل الجنة منها مُقَطَّعاتهم[5] وحللهم ، وثمرها أمثال القلال والدلاء[6] ، أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ، ليس فيها عَجَم[7] »[8] . =

(١) أكمامها : أغلافها وهى التى تغطى زهورها ، وبراعمها .

(٢) رواه أحمد [٧١/٣] ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد [٦٧/١٠] : رواه أحمد وأبو يعلى ا.هـ . وعزاه ابن القيم فى الحادى [ص : ١٩٩] لابن أبى الدنيا وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير [٣٩١٨] . وحسنه الأرناؤوط فى المسند لغيره .

(٣) كَرَبُها : الكَرَب هو أصول سعف النخل الغلاظ العراض .

(٤) سَعَفها : هو جريد النخل وورقه إذا يبس وجَفَّ .

(٥) مُقَطَّعَاتهم : جمع مُقَطَّعَة وهى الثوب القصير ، أو برود عليها وشى .

(٦) الدلاء : جمع دلو .　　　(٧) عَجَم : نوى .

(٨) رواه المروزى فى زياداته على الزهد لابن المبارك [١٤٨٨] [ص : ٥٢٣] ، عن سعيد بن جبير مقطوعًا ، وقال المحقق =

= وعن عامر بن زيد البكالى أنه سمع عتبة بن عبد السلمى يقول : « جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابى: فيها فاكهة ؟ قال : « نعم » ، وفيها شجرة تدعى طوبى ، فذكر شيئًا لا أدرى ما هو ، فقال أى شجر أرضنا تشبهه ؟ قال ليست تشبه شيئًا من شجر أرضك ، فقال النبى ﷺ: « أتيت الشام ؟ » قال : لا . قال : تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة ، تنبت على ساق واحدة وينفرش أعلاها . قال : ما عظم =

= حبيب الرحمن الأعظمى - فى الهامش : وفى «ك» عن ابن عباس ا.هـ . وعزاه ابن كثير فى تفسيره [٤٨٢/٧] لابن أبى حاتم عن ابن عباس بسياق مختصر عن هذا ، وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب [٦٣ ٩٧١/٤، ٩٧٢] ثم قال : رواه ابن أبى الدنيا موقوفًا بإسناد جيد ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ا.هـ .

وقال الأرناؤط فى تعليقه على شرح السنة للبغوى [٤٣٨٤ ٢٢١/١٥] : إسناده قوى .

وكذلك وافق محقق « صفة الجنة » حكم الحاكم والذهبى بأنه على شرط مسلم « صفة الجنة » [٤٠٦ ٢٤٦/٣] .

= أصلها ؟ قال : « لو ارتحلت جذعة [1] من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرمًا [2] . قال : فيها عنب ؟ قال : نعم . قال : فما عظم العنقود ؟ قال : مسيرة شهر للغراب لا يقع ولا يفتر . قال : فما عظم الحبة ؟ قال : هل ذبح أبوك تيسًا من غنمه قط عظيمًا ؟ قال : نعم ، قال : فسلخ إهابه [3] فأعطاه أمك وقال لها : اتخذى لنا منه دلوًا ؟ قال : نعم ، قال الأعرابى : فإن تلك الحبة لتشبعنى أنا وأهل بيتى ، قال : نعم وعامة عشيرتك »[4] .

=

(١) جذعة : الناقة التى بلغت أربعة أعوام .

(٢) تنكسر تَرْقُوَتها هرمًا : المقصود تبلغ أقصى عمرها عند إحاطتها بأصل الشجرة .

(٣) إهابه : جلده .

(٤) رواه أحمد [١٨٤،١٨٣/٤] ، وابن حبان [٢٦٢٧،٢٦٢٦] « موارد الظمآن » وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد [٤١٣/١٠] بعد أن ساق لفظًا مطولًا : رواه الطبرانى فى الأوسط واللفظ له ، وفى الكبير وأحمد باختصار عنهما وفيه عامر بن زيد البكالى وقد ذكره ابن أبى حاتم ولم يخرجه =

= وعن أسماء بنت أبى بكر قالت : « سمعت رسول الله ﷺ ، وذكر سدرة المنتهى فقال : يسير الراكب فى ظل الفَنَن[1] منها مائة سنة ، أو قال : يستظل فى الفنن منها مائة راكب ، فيها فَرَاش الذهب كأن ثمرها القلال »[2] .

وعن مجاهد قال : « أرض الجنة من وَرِق[3] وترابها مسك ، وأصول أشجارها ذهب ووَرِق ، وأفنانها [4] لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، والوَرَق والثمر تحت ذلك ، فمن أكل قائمًا لم =

= ولم يوثقه . وبقية رجاله ثقات ا.هـ .

وانظر صفة الجنة لأبى نعيم [٣٤٦ ١٩٣،١٩٢/٣] ونقل المحقق تصحيح القرطبى له فى التذكرة . وقال الأرناؤوط فى المسند إسناده قابل للتحسين .

(١) الفَنَن : الغُصْن

(٢) رواه الترمذى [٢٥٤١] وقال : هذا حديث حسن غريب ا.هـ . وعزاه ابن القيم لأبى يعلى فى مسنده . وقال الأرناؤوط فى جامع الأصول [٥٠٢/١٠] وهو حديث حسن ا.هـ . وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى [٤٥٨] .

(٣) وَرِق : فضة .

(٤) أفنانها : أغصانها .

= يؤذه ، ومن أكل جالسًا لم يؤذه ، ومن أكل مضطجعًا لم يؤذه ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ .

وعن جرير بن عبد الله قال : « نزلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه ، قال فقلت للغلام : انطلق بهذا النِّطع[1] فأظِلَّه . قال : فانطلق فأظَلَّه ، فلما استيقظ إذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه ، فقال : ياجرير تواضع لله فإن من تواضع لله رفعه الله يوم القيامة . يا جرير هل تدرى ما الظلمات يوم القيامة ؟ قلت : لا أدرى ، قال : ظلم الناس بينهم ثم أخذ عويدًا[2] لا أكاد أراه بين أصبعيه فقال : يا جرير إذا طلبت مثل هذا فى الجنة لم تجده ، قلت : يا عبد الله فأين النخل والشجر ؟ قال : أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر »[3].

صحيح حادى الأرواح [ص ١٤٨:١٥٥] .

---

(١) النِّطْع : بفتح النون أو كسرها : بساط من الجلد .

(٢) عُوَيْدًا : تصغير عود .

(٣) قال المنذرى فى الترغيب والترهيب [٩٧٠/٤٦٠] رواه البيهقى بإسناد حسن ا.هـ .

ثمار الجنة

قال الله تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ [البقرة : ٢٥] ، ثمر الجنة يختلف عن ثمر الدنيا ، إنك فى الدنيا لابد أن تذهب إلى الثمرة وتأتى بها أو يأتيك غيرك بها ، ولكن فى الجنة الثمر هو الذى يأتى إليك ، بمجرد أن تشتهيه تجده فى يدك ، ولا تعتقد أن هناك تطابق بين ثمر الدنيا وثمر الجنة ، ولكن الثمر فى الجنة ليس كثمر الدنيا لا فى طعمه ولا فى رائحته ، وعندما يرى أهل الجنة ثمرها ، يقولون ربما تكون هذه الثمرة هى ثمرة المانجو أو التين الذى أكلناه فى الدنيا ، ولكنها فى الحقيقة تختلف تماماً ، قد يكون الشكل متشابها ولكن الطعم شىء مختلف .

فى الدنيا كل طعام له فضلات يخرجها الإنسان ، ولكن فى الآخرة لا يوجد لطعامها فضلات ، بل إن الإنسان يأكل كما يشاء دون أن يحتاج لإخراج فضلات ، وقد يكون ذلك لاختلاف ثمار الدنيا عن الآخرة فى التكوين .

إذن .. ففى الجنة الأنهار مختلفة والثمار مختلفة ، والرزق فيها من الله سبحانه وتعالى مباشرة الذى إذا أراد شيئاً يقول له : ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ ، ولا أحد يقوم بعمل [1] .

---

(١) قال ابن القيم : وهل المراد : هذا الذى رزقنا فى الدنيا نظيره من الفواكه والثمار ، أو هذا نظير الذى رزقناه قبل فى الجنة ؟ قيل فيه قولان :

عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ قالوا : ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أنهم أُتوا بالثمرة فى الجنة ، فلما نظروا إليها قالوا : هذا الذى رُزِقنا من قبل فى الدنيا .

وقال آخرون : هذا الذى رُزِقنا من قبل من ثمار الجنة ، من قبل هذا لشدة مشابهة بعضه بعضًا فى اللون والطعم .

واحتج أصحاب هذا القول بحجج :

إحداها : أن المشابهة التى بين ثمار الجنة بعضها لبعض أعظم من المشابهة التى بينها وبين ثمار الدنيا ، ولشدة المشابهة قالوا : هذا هو .

الحجة الثانية : أن ثمار الجنة كلما نُزِع منها شئ عاد مكانه آخر مثله ، عن أبى عبيدة وذكر ثمر الجنة وقال : « كلما=

= نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى »[1] .

الحجة الثالثة : قوله : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم[2] هذا الذى رزقنا من قبل .

الحجة الرابعة : أن من المعلوم أنه ليس كل ما فى الجنة من الثمار قد رزقوه فى الدنيا ، وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها .

وأما قوله عز وجل : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ قال الحسن :=

---

(١) رواه الطبرى [٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٧ ١/٣٨٤، ٣٨٦] « طبعة دار المعارف بتحقيق أحمد شاكر » وعزاه محقق « صفة الجنة لأبى نعيم » إلى ابن أبى شيبة وابن قتيبة فى « غريب الحديث » والزهد لابن المبارك والطبرى ، وصحيح إسناده عند أبى نعيم [١٦٧/٣٣١٥] . ولفظه : «أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود ، وثمرها كالقلال ، كلما أُخِذَتْ ثمرة عادت مكانها أخرى ، والعنقود اثنا عشر ذراعًا » ولكنه عن أبى عبيدة عن مسروق وهو تابعى جليل .

(٢) أى أن الله سبحانه وتعالى ذكر مجىء الثمار إليهم فى الجنة متشابهة وأنه هو سبب قولهم هذا .

= خيار[1] كله لا رذل[2]، وعلى هذا فالمراد بالتشابه التوافق والتماثل .

وقالت طائفة أخرى منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ : متشابهًا فى اللون والمرأى وليس يشبه الطعم . قال مجاهد : متشابهًا لونه مختلفًا طعمه .

وقالت طائفة وناس : معنى الآية أن يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب . قال عبد الرحمن بن زيد : يعرفون أسماءه كما كانوا فى الدنيا ؛ التفاح بالتفاح والرمان بالرمان ، قالوا فى الجنة : هذا الذىرزقنا من قبل وأتوا به متشابهًا : يعرفونه وليس هو مثله فى الطعم .

وقال : ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝ ﴾ [سورة ص] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الدخان : ٥٥] وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها .

=

(١) خيار : منتقى وطيب .

(٢) رذل : ردىء .

= وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ ۝ ﴾ [الزخرف] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝ ﴾ [الواقعة] . أى : لا تكون فى وقت دون وقت ولا تُمْنَع ممن أرادها .

وقال : ﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝ ﴾ [الحاقة] . والقُطُوف : جمع قِطْف وهو ما يُقْطَف ، والقَطْف بالفتح : الفعل . أى ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف يشاء ، قال البراء بن عازب : يتناول الثمرة وهو نائم[1] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الإنسان : ١٤] . قال ابن عباس : إذا هَمَّ أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد . وقال غيره : قريبة =

(١) ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب [٦١ ٤/٩٧١] ثم قال : رواه البيهقى وغيره موقوفًا بإسناد حسن ا.هـ وحَسَّن محقق « صفة الجنة لأبى نعيم » إسناده عند هَنَّاد فى الزهد « صفة الجنة » [١٩٧/٣٣٥١] .

= إليهم مذللة كيف شاءوا ، فهم يتناولونها قيامًا وقعودًا ومضطجعين . فيكون كقوله : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ ومعنى تذليل القطف تسهيل تناوله .

وقال تعالى : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [الرحمن : ٥٢] .

وفى الجنتين الأخريين ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن : ٦٨] .

وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما ، كما نص على حدائق النخل والأعناب فى سورة النبأ ، إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد : ١٥] .

وعن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة وعَلَّمه صنعة كل شىء وزوده من ثمار الجنة ، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تَغَيَّر وتلك لا تَغَيَّر »[1]. وقد تقدم أن سدرة المنتهى نَبْقُها مثل القِلَال . =

(١) رواه الطبرى فى تفسيره [٣٩٣/١٥٣٩] بمثله موقوفًا . وقال العلامة أحمد شاكر عن إسناد الطبرى : هذا إسناد صحيح وهو إن كان موقوفًا لفظًا فإنه مرفوع حكمًا لأنه إخبار =

= وفى صحيح مسلم من حديث جابر عن النبى ﷺ قال : « عُرِضَت على الجنة حتى لو تناولت منها قطفًا أخذته » وفى لفظ : « فتناولت منها قطفًا فقصرت عنه يدى »[1] .

وعن ابن عباس قال : « ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء ، أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ليس فيه عَجَم »[2] .

وعن البراء بن عازب قال : « إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قيامًا وقعودًا ومضطجعين على أى حال شاءوا »[3] . =

= عن غيب لا يعلم بالرأى ولا بقياس . وذكره ابن القيم فى حادى الأرواح من رواية عبد الله بن أحمد ابن حنبل مرفوعًا صراحةً . وكذلك ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد [١٩٧/٨] عن أبى موسى رفعه وقال : رواه البزار والطبرانى ورجاله ثقات ا.هـ . [بتصرف واختصار يسير] .

(١) رواه ابن خزيمة فى صحيحه [١٣٨١/٣١٥/٢] ، والبيهقى فى الكبرى [٦١٠٧/٣٢٤/٣] ، والطيالسى [١٧٥٤] .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب [٢٩٠/٤] وقال : رواه البيهقى وغيره موقوفًا بإسناد حسن . وانظر فتح البارى [٦٨٥/٨] .

وفى حديث لقيط بن صبرة الذى رواه عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه وغيره « قلت : يارسول الله على ما يطلع أهل الجنة ؟ قال : على أنهارٍ من عسل مُصَفًّى ، وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة ، وأنهارٍ من لبنٍ لم يتغير طعمه ، وماءٍ غير آسن وبفاكهةٍ - لعمر إلهك - مما يعلمون وخير من مثله معه »[1] .

وأما الريحان فهو كل نبت طيب الرائحة .

صحيح حادى الأرواح [١٥٦-١٦٠] .

ooo

(١) سبق تخريجه .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف : ٤٢] .

ومعنى أصحاب : أنهم لا يفارقونها ، تمامًا كما يحب الإنسان صاحبه ، فالجنة تطلبهم كما يطلبونها ، وفيها الخلود ، والنعمة فيها لا تزول عن الإنسان ولا تفارقه ولا تبتعد عنه ، ولا يفارقها هو بالموت ، وهى حياة ليس فيها أغيار ، أى لا تكون فيها صحيحًا فتمرض ، ولا غنيًا فتفتقر ، فهذه الأغيار موجودة فى الدنيا حتى يلفتنا الله إلى أن النعمة منه فنشكره ولا ننسبها إلى أنفسنا وقدراتنا وعقولنا ، ونِعَم الجنة أكثر وأكبر من كل متطلبات أهلها ، بحيث يأخذ الإنسان منها حاجته وما يزيد عن هذه الحاجة ، ولذلك فإنه إذا تمنى الإنسان شيئًا فى الجنة وجده أمامه بمجرد أن يرد على خاطره ، كذلك لا يوجد غل ولا حقد بين أهل الجنة ، يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [الأعراف : ٤٣ ، الحجر : ٤٧] ، أى أنهم متى دخلوا الجنة نعموا جميعًا بأكثر مما كانوا يتوقعون . والصراع فى الدنيا

والخلاف والغِلّ يتم على أساس أن كل واحد يريد أن يستأثر بالنعم ، فهذا معه الحكم و السلطان ، وهذا يريد أن يأخذه منه ، وهذا معه المال وهذا يريد أن يستوى المال منه ، هذا التنافس على النعم لا وجود له فى الجنة ، لأن نعم اللّه فى الجنة تزيد عن حاجة عباده ، بل كلما تمنوا شيئًا وجدوه ، كما أن اللّه سبحانه وتعالى يطهر نفوس أهل الجنة ، فإذا كان لك زوجة صالحة ، وكانت لا تعجبك منها أشياء طهرها اللّه سبحانه مما لا يعجبك ، ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٥] .

والزوجة الصالحة التى كان لا يعجبها فى زوجها شيء يطهره اللّه منه (١) .

(١) وعن ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره قال اللّه تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ [البقرة : ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس] . =

= وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر : ١٨] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [التوبة] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ... ﴿٢٣﴾ ﴾ [الشورى] .

وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ .... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون] . =

= وفي المسند وغيره أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :
« قد أنزلت على عشر آيات ، من أقامهن دخل الجنة ، ثم تلا :
﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ حتى ختم العشر آيات » .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : ٦٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ =

= إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات] .

قال ابن القيم : وهذا في القرآن كثير مداره على ثلاث قواعد :

الأولى : إيمان وتقوى .

والثانية : عمل خالص لله .

الثالثة : على موافقة السنة .

فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق ، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها ، وهي تجتمع في أصلين :

الأول : إخلاص في طاعة الله .

الثاني : إحسان إلى خلقه . =

= وضدها يجتمع فى الذين يراءون ويمنعون الماعون .

وترجع إلى خصلة واحدة ، وهى موافقة الرب تبارك وتعالى فى محابه ، ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهراً وباطنًا برسول اللَّه ﷺ ، وأما الأعمال التى هى تفاصيل هذا الأصل فهى بضع وسبعون شعبة : أعلاها قول لا إله إلا اللَّه وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التى مرجعها تصديق الرسول ﷺ فى كل ما أخبر به ، وطاعته فى جميع ما أمر به إيجابًا واستحبابًا ، كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته من غير تحريف لها ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، كما قال الشافعى رحمه اللَّه : الحمد للَّه الذى هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه .

وعن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « أول زُمْرَةٍ تلجُ الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ، ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون ، آنيتهم فيها وأمشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم من الألُوَّة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن ، =

= لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد يسبحون اللَّه بكرة وعشيا »[(١)] .

وعن عبد اللَّه بن عمرو رضى اللَّه تعالى عنهما قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق اللَّه ؟ قالوا : اللَّه ورسوله أعلم ، قال : أول من يدخل الجنة من خلق اللَّه الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور ، ويُتقى بهم المكَارِه ، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره ، لا يستطيع لها قضاءً ، فيقول اللَّه عز وجل لمن يشاء من ملائكته آتوهم فحيوهم ، فتقول الملائكة : نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك ، أفتأمرنا أن نأتى هؤلاء فنسلم عليهم ، قال إنهم كانوا عبادًا يعبدونى لا يشركون بى شيئًا وتسد بهم الثغور ، ويتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطع لها قضاء ، قال : فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ »[(٢)] [الرعد : ٢٤] . =

(١) أخرجه البخارى [٣٢٤٥] واللفظ له ، ومسلم [١٧/٢٨٣٤] .

(٢) رواه أحمد [١٦٨/٢] ، وصححه الشيخ أحمد شاكر فى المسند [٦٥٧٠] ، وقال الأرناؤوط : إسناده جيد .

= وعن بريدة رضى الله تعالى عنه قال : أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالًا فقال : يا بلال بم سبقتنى إلى الجنة ؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامى . دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامى ، فأتيت على قصر مُرَبَّع مُشَرَّف من ذهب ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا لرجل من العرب ، فقلت أنا عربى ، لمن هذا القصر ؟ قالوا لرجل من قريش ، فقلت : أنا قريشى لمن هذا القصر ؟ قالوا : لرجل من أمة محمد ﷺ فقلت أنا محمد ، لمن هذا القصر ، قالوا : لعمر بن الخطاب . فقال بلال : يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين ، وما أصابنى حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله علىَّ ركعتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بهما » (1) .

ooo

(1) رواه الترمذى [٣٦٨٩] ، وأحمد [٥/٣٦٠] وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢٩١٢] ورواه ابن حبان فى صحيحه [٧٠٨٦] وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝١٣٦ ﴾ [آل عمران] .

قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤ ﴾ [الأنفال] . =

= قال ابن القيم : أهل الجنة أربعة أصناف ذكرهم اللَّه سبحانه وتعالى فى قوله : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء : ٦٩] ، نسأل اللَّه أن يجعلنا منهم بمنِّه وكرمه .

وعن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه « أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أمر بلالًا ينادى فى الناس : إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة »(١) ، وفى رواية أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن(٢) .

وعن عياض بن حمار المجاشعى رضى اللَّه تعالى عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال ذات يوم فى خطبته : « ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا ، كل مال نحلته عبدًا حلال ، وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحَرَّمَتْ عليهم ما =

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى [٣٠٦٢] ، ومسلم [١١١/١٧٨] .
(٢) جزء من حديث أخرجه البخارى [٤٢٠٣] .

= أحللت لهم ، وأمرتهم أن يُشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا ، وإن اللَّه نظر إلى أهل الأرض فمَقَتَهُم ، عَرَبَهم وعَجَمَهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال : إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك . وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء ، تقرؤه نائمًا ويقظان ، وإن اللَّه أمرنى أن أُحَرِّقَ قريشًا . فقلت : رب إذا يَثْلَغوا رأسى فيدعوه خُبْزَةً ، قال : استخرجهم كما استخرجوك ، واغزهم نُغْزِك ، وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشًا نبعث خمسةً مثله ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك .

قال : وأهل الجنة ثلاثة :

ذو سلطان مُقْسِط متصدق مُوَفَّق .

ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ، ومسلم .

وعفيف متعفف ذو عيال .

قال : وأهل النار خمسة :

الضعيف الذى لا زَبْر له الذين هم فيكم تبعًا لا يتبعون أهلًا ولا مالًا .

والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه .

ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك .» =

= وذكر البخل أو الكذب ، « والشِّنْظِير الفحاش »[1] .
وإن الله أوحى إلىَّ : أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد »[2] .

وعن حارثة بن وهب رضى الله تعالى عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبَرَّه . ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جَوَّاظٍ مستكبر »[3] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل النار : كل جعظرى جواظٍ مستكبر جماعٍ مناعٍ ، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون »[4] وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم=

---

(١) أخرجه مسلم [٦٣/٢٨٦٥] .

(٢) أخرجه مسلم [٦٤/٢٨٦٥] .

(٣) أخرجه البخارى [٤٩١٨] ، ومسلم [٤٧/٢٨٥٣] .

(٤) رواه أحمد فى المسند [٢١٤/٢] وقال أحمد شاكر فى المسند [٧٠١٠] : إسناده صحيح ، ووافقه الأرناؤوط .

برجالكم من أهل الجنة ؟ : النبى فى الجنة ، والشهيد فى الجنة ، والصِّدِّيق فى الجنة ، والمولود فى الجنة ، والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر فى الله فى الجنة . ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة ؟ : الودود الولود ، العؤود ؛ التى إذا ظُلمت قالت : هذه يدى فى يدك ، لا أذوق غمْضًا حتى ترضى »[1] .

○○○

---

(١) ذكره الألبانى فى صحيح الجامع الصغير [٢٦٠٤] وحسنه وعزاه للدار قطنى فى الأفراد والطبرانى فى الكبير .

ومن صفات أهل الجنة

القول الحق

قال اللّه تعالى : ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [المائدة : ٨٥] .

إنها كلمة الحق التى تقال فى كل مكان وزمان . قالها نجاشى الحبشة لأهل الجاه من قريش الذين استبد بهم باطلهم ؛ لذلك كان لهذه الكلمة وزنها ، فعندما سمع ما نزل من القرآن من سورة مريم قال : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة (١) .

(١) أرسلت قريش عمرو بن العاص وعبد اللّه بن أبى ربيعة يحملان الهدايا إلى النجاشى وبطارقته ، فقابلا النجاشى طالبين إليه إعادة من هاجر من المسلمين ، فأرسل النجاشى إلى المسلمين فسألهم عن دينهم ، فقال جعفر بن أبى طالب رضى اللّه تعالى عنه : « أيها الملك كنا قومًا على الشرك ، نعبد الأوثان ونأكل الميتة ، ونسيء الجوار ، ونستحل المحارم ، بعضنا من بعض فى سفك الدماء وغيرها ، لا نحل شيئًا ولا نحرمه ، فبعث اللّه إلينا نبيًا من أنفسنا نعرف وفاءه . وصدقه وأمانته ،=

= فدعانا إلى أن نعبد اللّه وحده لا شريك له ، ونصل الرحم ، ونحسن الجوار ، ونصلى ونصوم ، ولا نعبد غيره » .

فقال : هل معك شيء مما جاء به وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله .

فقال جعفر : نعم .

قال : هَلُمَّ فاتلُ علىَّ ما جاء به .

فقرأ عليه صدرًا من ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ [مريم : ١] ، فبكى واللّه النجاشى حتى أخضل لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم .

ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التى جاء بها موسى ، انطلقوا راشدين .

ولما أخفقت محاولة وفد قريش فى استعادتهم ، أثار عمرو بن العاص فى اليوم التالى موقف المسلمين من عيسى عليه السلام ، فقال للنجاشى : أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى قولًا عظيمًا . فأرسل النجاشى إليهم فسألهم ، فقال له جعفر : نقول هو عبد اللّه ورسوله وكلمته ، وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول . فقال النجاشى : ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود . وأعطى النجاشى الأمان للمسلمين ، فأقاموا مع خير جار =

إذن .. فهى كلمة حق لها وزن ، والله سبحانه وتعالى يجزل العطاء لكل من ساند الحق ولو بكلمة فهو سبحانه « الشكور » الذى يعطى الكثير على القليل ، و « المحسن » الذى يضاعف الجزاء للمحسنين .

ولنا أن نعرف أن للقول أهمية كبرى لأنه يرتبط من بعد ذلك بالسلوك . وكان قول النجاشى عظيماً ، لكن العمر قد قصر به عن استمرار العمل بما قال . فقد قال كلمته وجاءه التوكيل من رسول الله ﷺ ليعقد للرسول على أم حبيبة بنت أبى سفيان فعقد عليها وكيلاً عن رسول الله ﷺ وأمهرها من ماله ثم مات ، ولم تكن أحكام الإسلام قد وصلت إليه

= فى خير دار – كما تقول أم سلمة رضى الله تعالى عنها [1] .

(١) انظر السير والمغازى لابن إسحاق [٢١٣-٢١٧] ، وسيرة ابن هشام [١/٤٢١-٤٢٦] بإسناد حسن إلى أم سلمة رضى الله تعالى عنها ، ولعل عائشة رضى الله تعالى عنها التى حكت خبر النجاشى مع عمه سمعت ذلك من أم سلمة . سيرة ابن إسحاق والسيرة النبوية للشيخ الشعراوى [١/١٩٧-١٩٩] .

ليطبقها ؛ لذلك كان يكفيه أنه قال هذا القول ، ولذلك صلى عليه النبى ﷺ صلاة الغائب .

وهناك قصة « مخيريق » اليهودى . لقد تشرب قلبه الإسلام وامتلأ به وكان فى غاية الثراء فقال لليهود : كل مالى لمحمد وسأخرج لأحارب معه . وخرج إلى القتال مع رسول الله ﷺ ، فقتل فمات شهيداً ، وهو لم يكن قد صلى فى حياته كلها ركعة واحدة .

إذن .. علينا أن نعلم أن القول الحق هو فتح لمجال الفعل الحق .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ الحق يريد أن يؤكد لنا أن كل حركة إيمانية حتى ولو كانت قولاً إنما تأخذ كمالها من عمرها . ونعلم أن الإيمان فى مكة كان هو الإيمان بالقول . ذلك أن الناس آمنت ولم تكن الأحكام قد نزلت ، فغالبية الأحكام نزلت فى المدينة . وعلى ذلك أثاب الله المؤمنين لمجرد أنهم قالوا كلمة الإيمان . فهؤلاء قد جزاهم الله حسن الثواب وسمّاهم « محسنين »

وكذلك فعل النجاشى ، فقد ذهب إلى الإيمان دون أن توجه له دعوة وكان ذلك قبل أن يكتب رسول الله ﷺ الدعوة للملوك ليؤمنوا ، وعلى هذا فالنجاشى محسن ؛ لأنه سارع إلى الإيمان قبل أن يُطلب منه .

○○○

ومن صفات أهل الجنة
الصدق

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٩] .

نعرف أن هناك صدقاً ينفع يوم القيامة وهو الصدق الموصول بصدق الدنيا . وهناك صدق لا ينفع يوم القيامة ومثال ذلك قول إبليس اللعين كما يحكى القرآن الكريم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

مثل هذا الصدق لا ينفع أحداً ؛ لأن الآخرة ليست دار التكليف . لكن الصدق الموصول بصدق الدنيا هو قول عيسى عليه السلام : ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾ . ولذلك يقول الله فى الصدق الموصول : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ .

ذلك أن صدق الصادقين يوم القيامة هو صدق موصول بصدقهم فى زمن التكليف فى الدنيا ، ويتلقون عنه رضاء الله سبحانه : ﴿ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ وإن تساءل إنسان : كيف يرضى العبد عن ربه ؟

نقول : إن العباد المؤمنين عندما يعاينون الجزاء المعد لهم فى الآخرة يمتلئون بالحبور ويقولون : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ [الزمر : ٧٤] .

هذه الآية التى تتحدث عن يوم ينفع الصادقين صدقهم بقوله : ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ كأن هناك فوزاً غير عظيم ، وفوزاً عظيماً . والفوز الغير عظيم : هو ما يعطيه الإنسان لنفسه فى دار التكليف من متعة قصيرة العمر والأجل ، فيبدو ظاهريًا وكأنه قد فاز ، وفى الحقيقة ليس هو الفوز العظيم لأن الندم سيعقبه ، وأى لذة يعقبها ندم ليست فوزاً ؛ لأن الدنيا بكل ما فيها من نعيم هو نعيم مهدد بشيئين :

الأول : أن يزول النعيم عن الإنسان ، وكثيراً ما رأينا منعمين زال عنهم النعيم .

الثانى : أن يترك الإنسان هذا النعيم بالموت ، ونرى ذلك

كثيراً . أما النعيم الذى هو الفوز العظيم فهو النعيم الموصول الذى لا يمنعه أحد ، ولا يقطعه شىء ، أو بمعنى آخر : لا يفوت الإنسان ، ولا يفوته الإنسان [1].

○○○

(١) أخرج البخارى [٦٠٩٤] عن عبد الله رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « إن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً . وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا » .

ومن صفات أهل الجنة
كظم الغيظ

يقول الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران] .

هذه بعض من صفات المتقين ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾ لأن المعركة - معركة أُحد - ستعطينا هذه الصورة أيضًا . فحمزة وهو سيد الشهداء وعم رسول الله ﷺ يُقتل . ولم يُقتل فقط ولكنه مُثِّل به ، وأُخذ بضع من كبده ، فلاكته « هند » ، وهذا أشد من القتل . وهو ضغن دنيء .

أخذت قطعة كبده ومضغتها ثم لفظتها ، إذ جعلها الله عَصية عليها .

وقد شبه النبى ﷺ هذه الحادثة بأنها أفظع ما لقى . إنها مقتل حمزة ، فقال : « لئن أظفرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلًا منهم » .

وهنا جاء كظم الغيظ ليأخذ ذروة الحدث وقمته عند رسول الله فى واحد من أحب البشر إليه وفى أكبر حادث أغضبه ، فينزل قول الحق سبحانه : ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [النحل : ١٢٦] .

كى نعرف أن ربنا جل جلاله لا ينفعل لأحد ، لأن الانفعال من الأغيار ، قضية عامة لتكون فى السلم كما كانت فى الحرب .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾ أصل الكظم أن تملأ القِربَة ، والقِرَب كما نعرف كان يحملها « السقا » فى الماضى ، وكانت وعاء نقل الماء عند العرب ، وهى من جلد مدبوغ ، فإذا مُلئت القربة بالماء شُدّ على رأسها ، أى : رُبط رأسها ربطًا محكمًا بحيث لا يخرج شىء مما فيها ، ويقال عن هذا الفعل : « كظم القربة » أى ملأها وربطها ، والقربة لينة وعندما توضع على ظهر واحد أو على ظهر الدابة فمن ليونتها تخرج الماء لنا وتربط بإحكام كى لا يخرج منها شىء .

كذلك يفعل الغيظ فى النفس البشرية ، إنه يهيجها ، والله لا يمنع الهياج فى النفس لأنه انفعال طبيعى فى التكوين

الإنسانى . أراده الله تبارك وتعالى لأشياء : كالغريزة الجنسية مثلًا ، هو يريدها لبقاء النوع ، ويضع من التشريع ما يهذبها فقط ، وكذلك انفعال الغيظ ، إن الإسلام لا يريد من المؤمن أن يُصَبَّ فى قالب من حديد لا عواطف له .

لا .. إن الله سبحانه يريد للمؤمن أن ينفعل للأحداث ، لكن الانفعال المناسب للحدث ، الانفعال السامى المثمر ، لا الانفعال المدمر .

لذلك يقول الحق : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

فالمؤمن ليس مطبوعًا على الشدة ، ولا على الرحمة ، ولكن الموقف هو الذى يصنع عواطف الإنسان ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

وهل هناك من هو ذليلٌ وعزيزٌ معًا ؟ نقول : المنهج الإيمانى يجعل المؤمن هكذا ، ذليل على أخيه المؤمن وعزيز على الكافر .

ومثال آخر للانفعال الطبيعى : وهو انفعال الرسول ﷺ حين مات ابنه إبراهيم ؟ لقد انفعل ودمعت عينيه . فالله

سبحانه لم يخلق المؤمن من حجر .

ولذلك قال رسول الله ﷺ عند فراق ابنه : « إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون » (١) .

إذن .. إن المؤمن لا يقول لحظة الانفعال ما يسخط الرب . بل يكون انفعاله موجه ، والغيظ يحتاج إليه المؤمن حينما يهيج دفاعًا عن منهج الله ، ولكن على المؤمن أن يكظمه .. أى لا يجعل الانفعال غالبا على حسن السلوك والتدبير .

والكظم : مأخوذ من أمر محس . مثال ذلك : نحن نعرف أن الإبل أو العجماوات التى لها معدتان ، واحدة يختزن فيها الطعام ، وأخرى يتغذى منها مباشرة كالجمل مثلًا ، إنه يجتر . ومعنى يجتر الجمل ، أى : يسترجع الطعام من المعدة الإضافية ويمضغه ، هذا هو الاجترار . فإذا امتنع الجمل عن الاجترار . يقال : إن الجمل قد كظم .

وهناك فرقًا بين الانفعال فى ذاته ، فقد يبقى فى النفس

---

(١) أخرجه البخارى [١٣٠٣] عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه .

وتكظمه ، أى : إن الإنسان يستطيع أن يُخرجه إلى حيز النزوع الانفعالى ، ولكنه يكبح جماح هذا الانفعال .

أما العفو فهو أن تخرج الغيظ من قلبك ، وكأن الأمر لم يحدث ، وهذه هى مرتبة ثانية .

أما المرتبة الثالثة فهى : أن تنفعل انفعالًا مقابلًا ؛ أى : أنك لا تقف عند هذا الحد فحسب ، بل إنك تستبدل بالإساءة الإحسان إلى من أساء إليك .

وهذا هو الارتقاء فى مراتب اليقين ؛ لأنك إن لم تكظم غيظك وتنفعل ، فالمقابل لك أيضًا لن يستطيع أن يضبط انفعاله بحيث يساوى انفعالك ، ويمتلىء تجاهك بالحدة والغضب ، وقد يظل الغيظ ناميًا وربما ورّث أجيالًا من أبناء وأحفاد . لكن إذا ما كظمت الغيظ ، فقد يخجل الذى أمامك من نفسه وتنتهى المسألة .

○○○

ومن صفات أهل الجنة
العفو والإحسان

يقول تعالى : ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ العفو مأخوذ من : « عفّى على الأثر » والأثر ما يتركه سير الإنسان فى الصحراء ، ثم تأتى الريح لتمحو هذا الأثر .

إننا جميعًا صنعة اللّه ، والخلق كلهم عيال اللّه [(1)]، وما دمنا كلنا عيال اللّه فعندما يُسيء واحد لآخر فاللّه ينتصر للمظلوم ويرضيه ، ويعطيه من رحمته ومن عفوه أشياء كثيرة . وهكذا يكون المُسَاء إليه قد كسب ، ولو فطن المُسَاء إليه لأحسن للمسيء .

لكن العقل البشرى يفقد ذكاءه فى مواقف الغضب ؛ فالذى يسيء إلى إنسان يجعل اللّه فى جانبه .

---

(١) روى أبو يعلى الموصلى [٣٣١٥/٦٥/٦] عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « الخلق عيال اللّه فأحبهم إلى اللّه أنفعهم لعياله » ، والطبرانى فى الكبير [١٠٠٠٣/٨٦/١٠] عن عبد اللّه رضى اللّه تعالى عنه .

ومن صفات أهل الجنة
مداومة الذكر والاستغفار

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

والفاحشة هى : الذنب الفظيع ، والآية تنبهنا إلى أن من يفعل الفاحشة أو يظلم نفسه نسى الله ، فلحظة فعل الفاحشة أو ظلم النفس لا يكون الله على بال الإنسان الفاعل للفاحشة أو على بال من ظلم نفسه ، والذى يُجرئ الإنسان على المعصية ليحقق لنفسه شهوة ، إنه لم ير الله ولم ير جزاءه وعقابه فى الآخرة ماثلا أمامه ، ولو تصور هذا لامتنع عن الفاحشة .

وكذلك الذى يهمل فى الطاعة أيضًا ، لم يذكر الله وعطاءه للمتقين . ولو ذكر الله وعطاءه للمتقين لما تكاسل عن طاعة الله . ولذلك يقول الحق : ﴿ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ ، فمن يستغفر لذنبه فقد ذكر الله .

وموقف العلماء من الفاحشة فيه اختلاف . فبعض العلماء

قال : إنها الكبيرة من الكبائر ، وظلم النفس صغيرة من الصغائر . وقال بعض آخر من العلماء : إن الفاحشة هى الزنا ؛ لأن القرآن نص عليها ، وما دون ذلك هو الصغيرة .

ولكن يجب أن ننتبه إلى أنه : « لا كبيرة مع الاستغفار . ولا صغيرة مع الإصرار »(١)

فلا يجوز للإنسان أن يتجاوز عن أخطائه ويقول : هذه صغيرة وتلك صغيرة لأن ميزان الصغائر والكبائر ليس بيده(٢).

وحين ننظر إلى قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ نجد أن الذى فعل الفاحشة ظالم لنفسه أيضًا لأنه حقق لنفسه شهوة عارضة ، وأبقى على نفسه عذابًا خالدًا .

ولماذا لم يقل الحق إذن : والذين ظلموا أنفسهم فقط ؟ أى :

---

(١) ذكره فى لسان الميزان [٦٤/٧] عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ورواه النسائى فى الكبرى [١٠٢٨٩/١١٨/٦] ، وابن ماجه [٣٨١٨] عن عبد الله بن بشر قال : قال رسول الله ﷺ : « طوبى لمن وجد فى كتابه استغفارًا كثيرًا » .

(٢) ومما يؤيد ذلك ما جاء فى الصحيحين أن امرأة دخلت النار فى هرة حبستها ، وامرأة أخرى دخلت الجنة فى كلب سقته .

يكون العطف بـ « الواو » لا بـ « أو » ؛ لأن الحق يريد أن يوضح لنا الاختلاف بين فعل الفاحشة وظلم النفس .

لأن الذى يفعل الفاحشة إنما يحقق لنفسه شهوة أو متعة ولو عاجلة ، لكن الذى يظلم نفسه يذنب الذنب ولا يعود عليه شىء من النفع ؛ فالذى يشهد الزور - على سبيل المثال - إنه لا يحقق لنفسه النفع ، ولكن النفع يعود للمشهود له زورًا . إن شاهد الزور يظلم نفسه لأنه لبى حاجة عاجلة لغيره ، ولم ينقذ نفسه من عذاب الآخرة . أما الإنسان الذى يرتكب الفاحشة فهو قد أخذ متعة فى الدنيا ، وبعد ذلك ينال العقاب فى الآخرة .

لكن الظالم لنفسه لا يفيد نفسه ، بل يضر نفسه ؛ فالذى هو شر أن تبيع دينك بدنياك ؛ إنك فى هذه الحالة قد تأخذ متعة من الدنيا وأمد الدنيا قليل .

والحق سبحانه وتعالى لم ينه عن متاع الدنيا ، ولكنه سبحانه قال عنه : ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء : ٧٧] . وهناك من يبيع دينه بدنيا غيره ، وهو لا يأخذ شيئًا ويظلم نفسه .

ويقول الحق : ﴿ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ

إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ . ومعنى « ذنب » هو : مخالفة لتوجيه منهج . فقد جاء أمر فى المنهج ولم ينفذ الأمر . وجاء نهى فى المنهج فلم يُلتزم به .

ولا يسمى ذَنْبًا إلا حين يعرفنا اللّه الذنوب ، ذلك هو تقنين منهج اللّه . وفى مجال التقنين البشرى نقول : لا تجريم إلا بنص ولا عقوبة إلا بتجريم .

وهذا يعنى ضرورة إيضاح ما يعتبر جريمة ؛ حتى يمكن أن يحدث العقاب عليها ، ولا تكون هناك جريمة إلا بنص عليها . أى أنه يتم النص على الجريمة قبل أن ينص على العقوبة ، فما بالنا بمنهج اللّه ؟ إنه يعرفنا الذنوب أولًا ، وبعد ذلك يحدد العقوبات التى يستحقها مرتكب الذنب .

ولنتنبه إلى قول الحق : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

إذن .. فالاستغفار ليس أن تردف الذنب بقولك : أستغفر اللّه فحسب ، لا .. إن على الإنسان أن يردف الذنب بقوله : أستغفر اللّه ، وأن يعزم على ألا يفعل الذنب أبدًا .

وليس معنى هذا ألا يقع الذنب منك مرة أخرى ؛ إن الذنب

قد يقع منك ، ولكن ساعة أن تستغفر اعزم على عدم العودة ، إن الذنب قد يقع ، ولكن بشرط ألايكون بنية مُسبقة ، وتقول لنفسك : سأرتكب الذنب ، واستغفر لنفسى بعد ذلك . إنك بهذا تكون كالمستهزىء بربك ، فضلا على أنك قد تصنع الذنب ولا يمهلك الله لتستغفر فتورد نفسك المهالك .

إذن .. قول الحق : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ يوضح لنا أنه لا عقوبة إلا بتجريم ولا تجريم إلا بنص .

إن الحق يعلمنا ويعرفنا أولًا ما هو الذنب ؟ وما هو العقاب ، وكيفية الاستغفار ؟

○○○

ومن صفات أهل الجنة
الإنفاق فى السر والعلن

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] . إنهم ينفقون فى السراء نفقة الشكر . وينفقون فى الضراء نفقة الذكر والتضرع . لأن النعمة حين توجد بسراء تحتاج إلى شكر لهذه النعمة ، والنعمة حين تنفق فى الضراء تقتضى ضراعة إلى الله ليزحزح عن المنفق آثار النقمة والضراء .

إذن .. فهم ينفقون سواء أكانوا فى عسر ، أم كانوا فى يسر .

إن كثيرًا من الناس ينسيهم اليسر أن الله أنعم عليهم ويظنون أن النعمة قد جاءت عن علم منهم . وبعض الناس تلهيهم النعمة عن أن يحسوا بآلام الغير وينشغلوا بآلام أنفسهم . لكن المؤمنين لا ينسون ربهم أبدًا ، ويلتزمون أمره بالإنفاق فى العسر واليسر . ولذلك قالوا : « فلان لا يقبض يده فى يوم العرس ولا فى يوم الحبس » .

وفى ذلك لون من طمأنة المؤمن على أغيار نفسه ، وعلى أنه

عندما يستجيب مرة لنزعات الشيطان ، فهذه لا تخرجه من حظيرة التقوى ، لأن اللّه جعل ذلك من أوصاف المتقين . فالفاحشة التى تكون من نزغ الشيطان ثم ذِكْرُ اللّه تعالى بعدها ، واستغفاره سبحانه مع العزم على عدم العودة ، لا تخرجهم أبدًا عن وصفهم بأنهم متقون .

ولذلك قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [آل عمران : ١٣٦] .

والأجر عادة هو ما يأخذه العامل نتيجة العمل . والأجر حين يأخذه العامل نتيجة لعمل يتوقف على تقييم العمل عند صاحب العمل نفسه . فزيادة الأجر ونقصه تقدير من صاحب العمل ، وأيضًا تقدير للعامل . فإن طلب أصحابُ عملٍ متعددون عاملًا محددًا فله أن يطلب زيادة ، وإن لم يطلبه أحد فهو يقبل أول عرض من الأجر نظير أداء العمل .

إذن .. فالمسألة مسألة حاجة من صاحب عمل ، أو حاجة من عامل ، وحين ننظر إلى الصفقة فى الآخرة نجد أنها بين إله لا يحتاج إلى عملك . ومع أنه لا يحتاج إلى عملك جعل لعملك أجرًا .

ما هذه المسألة ؟ هو ليس محتاجًا إلى عملك ، ويعطيك أجرًا على عملك ويقول لك : إن هذا الأجر هو الحد الأدنى ، لكن لى أنا أن أضاعف هذا الأجر ، ولى أن أتفضل عليك بما فوق الأجر . إن الذى تعمل له - يومًا - من العباد قد يعطيك - على سبيل المثال - ما يكفيك قوت يوم ، أو قوت يوم ونصف يوم . ولكنك حين تأخذ الأجر من اللّه سبحانه فإنه يعطيك الأوفى ؛ فهو القائل سبحانه : ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ .

○○○

ومن صفات أهل الجنة
الجهاد والصبر

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٢] .

إن الإيمان ليس مجرد كلمة تقال هكذا ، بل لابد من تجربة تثبت أنكم فُتِنتُم ونجحتم فى الفتنة ، والفتنة هى الامتحان .

إذن .. فلا تحسبوا أن المسألة سوف تمر بسهولة ويُكتفى منكم أن تقولوا نحن نحمل دعوة الحق ، لا .. إذا كنتم صادقين فى قولكم يلزمكم أن تكونوا أسوة وبخاصة حين يكون الحق ضعيفاً .

ودخول الجنة له اختبار يجب أن يجتازه المؤمن .

والحق سبحانه يقول : ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ وعندما نسمع ذلك فعلينا أن نعرف أن الله يعلم أزلاً مَن المجاهد ومَن الصابر ؟ ولكنه علم لا يُقيم الله تعالى به الحجة على الإنسان ، إلا إذا حدث له واقع من الإنسان نفسه .

○○○

ومن صفات أهل الجنة :
طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ

يقول الله سبحانه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ ﴾ [النساء : ١٣] . الذى يطيع الله ورسوله فى الدنيا هو من أخذ التكليف وطبقه ، ويكون الجزاء هو دخول الجنة فى الآخرة . لكن دخول الجنة ، هل هو منهج الدين ، أو هو الجزاء على الدين ؟

إنه الجزاء على الدين ، وموضوع الدين هو السلوك فى الدنيا ، ومن يسير على منهج الله فى الدنيا يدخل الجنة فى الآخرة ، فالآخرة ليست موضوع الدين ، لكن موضوع الدين هو الدنيا ، فعندما تريد أن تعزل الدنيا عن الدين نقول لك : لم تجعل للدين موضوعا ؟ وإياك أن تقول : موضوع الدين هو الآخرة لأن الآخرة هى دار الجزاء ، ولنأخذ من حياتنا هذا المثل : هل الامتحان موضوع المنهج أو أن المنهج يقرأه الطالب طوال السنة ، وهو موضوع الامتحان ؟

إن المناهج التى يدرسها الطالب هى موضوع الامتحان ،

وكذلك الدنيا هى موضوع الدِّين ، والآخرة هى جزاء لمن نجح ولمن رسب فى الموضوع ؛ لذلك فإياكم أن تقولوا : دنيا ودين ، فلا يوجد فصل بين الدنيا والدين ؛ لأن الدنيا هى موضوع الدين . فالدنيا تُقابلها الآخرة والدين لهما . الدنيا مزرعة والآخرة محصدة . بهذا نرد على من يقول بفصل الدنيا عن الدين .

ومَن يطع اللّه ورسوله يدخله جنة واحدة ، أو جنتين ، أو جنات ، وهل دلالة « مَن » للواحد ؟ لا .. إن « مَن » تدل على الواحد ، وتدل على المثنى وتدل على الجمع ، مثال ذلك نقول : جاء من لقيته أمس ، ونقول أيضًا : جاء مَن لقيتهما أمس ، وتقول كذلك : جاء من لقيتهم أمس .

إذن .. فـ « مَن » صالحة للمفرد ، والمثنى ، والجمع .

وقد سأل سائل : لماذا يقول الحق سبحانه وتعالى فى سورة الرحمن : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] .

فقلت له : إن سورة الرحمن استهلها الحق سبحانه وتعالى بقوله الكريم : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ ﴾ [الرحمن] .

ثم بعد ذلك قال الحق : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝ ﴾ [الرحمن] .

ثم قال سبحانه : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ [الرحمن : ٣١] .

ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ [الرحمن : ٣٣] .

إذن .. فمن الذى خاف مقام ربه ، هل هو من الجن أو من الإنس ؟ إن كان من الجن فله جنة ، وإن كان من الإنس فله جنة أخرى .

إذن .. فمن خاف مقام ربه فله جنتان .

وهناك من يقول : هناك جنتان لكل واحد من الإنس والجن ، لأن اللّه ليس عنده أزمة أماكن ، فحين شاء أزلًا أن يخلق خلقًا أحصاهم عدا من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة ، وعامل الكل على أنه مؤمن مطيع ، وأنشأ لكل واحد مكانه فى الجنة ، وعامل سبحانه الكل على أنه عاصٍ ، وأنشأ له مقعدًا فى النار ، وذلك حتى لا يفهم أحد أن المسألة هى أزمة أماكن .

فإذا دخل صاحب الجنة جنته ، بقيت جنة الكافر التى كانت معدة له على فرض أنه مؤمن ؛ لذلك يقول الحق تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٢] . فيرث المؤمنون ما كان قد أُعد لغيرهم لو آمنوا .

إذن .. فالمعانى كلها نجدها صوابا فى أى أسلوب من أساليب القرآن .

○○○

اكثر أهل الجنة

عن عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه تعالى عنه قال : قال لنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « كيف أنتم وربع أهل الجنة ، لكم ربعها ، ولسائر الناس ثلاثة أرباعها ؟ » .

قالوا : اللّه ورسوله أعلم .

قال : « فكيف أنتم وثلثها ؟ »

قالوا : فذاك أكثر !

قال : « فكيف أنتم والشطر ؟ » .

قالوا : فذلك أكثر !

فقال رسول اللّه ﷺ : « أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف ، أنتم منها ثمانون صفًا »[1] .

وعن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما عن النبى ﷺ قال : عرضت علىَّ الأمم فرأيت النبى ومعه الرهط ، والنبى ومعه الرجل والرجلان . والنبى ليس معه أحد ، إذ رُفِعَ لى سَوَادٌ عظيم ، فظننت أنهم أُمتى ، فقيل لى : هذا موسى ﷺ وقومه .=

(١) رواه أحمد فى المسند [١/٤٥٣] وصححه أحمد شاكر فى المسند [٤٣٢٨] ، وقال الأرناؤوط : صحيح لغيره .

= ولكن انظر إلى الأُفُقِ ، فنظرت ، فإذا سوادٌ عظيم . فقيل لى : انظر إلى الأفق الآخر . فإذا سواد عظيم . فقيل لى : هذه أمَّتُكَ ومعهم سبعون ألفا يدخُلُونَ الجنة بغير حساب ولا عذاب » .

ثم نهض فدخل منزله ، فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ . وقال بعضهم : فلعلهم الذين وُلِدُوا فى الإسلام ولم يُشركوا بالله . وذكروا أشياء . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : « ما الذى تخُوضُونَ فيه ؟ » فأخبروه . فقال : هم الذين لا يَرْقُونَ . ولا يسترقون . ولا يتطيرون . وعلى ربهم يتوكلون » قام عكاشة بن محصن ؛ فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم . فقال : « أنت منهم » ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم . فقال : « سبقك بها عُكاشة »[1] .

○○○

(١) أخرجه البخارى [٦٤٧٢] ، ومسلم [٣٧٤/٢٢٠] .

﴿ وَالسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

« السابق » هو الذى حصل منه الفعل - بصدد ما هو فيه - قبل غيره ، وكلنا والحمد لله مؤمنون ، من آمنوا أولًا ، ومن آمنوا بعد ذلك ؛ كلهم مؤمنون ، لكن هناك أناس سبقوا إلى الإيمان ، فهل كان سبقهم سبق زمان أم سبق اتباع ؟

إن سبق الزمان يتحدد فى الذين عاصروا رسول الله ﷺ ، فإن ظن ظان أن المقصود بالسابقين هم الذين سبقونا سبق زمان ، فقد يقول منا قائل : وما ذنبنا نحن وقد جئنا بعد زمانهم ؟

ولذلك نقول : إنما السبق يعتبر من معاصر ، أى كان معهم أُناس غيرهم وهم سبقوهم ؛ ولذلك جاء القول : ﴿ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ﴾ ونعلم أن الذين هاجروا مع الرسول ﷺ لم

يكونوا كل مسلمى مكة ، وجاء قوله : ﴿ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ أيضاً لم يكن كل الأنصار من أهل المدينة هم من السابقين .

وينحصر المعنى فى الذين سبقوا إلى الإيمان فى مكة ، والذين سبقوا إلى النُصرة فى المدينة ، هؤلاء هم ﴿ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ .

وفى سورة الواقعة يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ ﴾ [الواقعة] .

ثم يأتى من بعدهم فى المرتبة : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة : ٢٧] .

ثم يحدد الحق هؤلاء فيقول : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤ ﴾ [الواقعة] .

ولذلك حينما يأتى من يقول : لن يستطيع واحد من أمة محمد ﷺ تأخر عن عصر محمد ﷺ أن يصل إلى منزلة عالية كالتى وصل إليها الصحابة ؛ لأن الله قال : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ ، نقول له : لا ، بل افطن إلى بقية قوله سبحانه : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ ، وهذا دليل على أن بعضاً من الذين جاءوا بعد زمان رسول الله

ﷺ سينالون المرتبة الرفيعة ، وهكذا لم يمنع الحق ان يحوى من أمة محمد ﷺ إلى أن تقوم الساعة من يصل إلى منزلة رفيعة عالية كالتى وصل إليها الصحابة .

وقد طمأن النبى ﷺ الذين لم يدركوا عهده حين قال : « وَدِدْتُ أَنَّا قد رأينا إخواننا » . قالوا : أوَ لَسْنَا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : أنتم أصحابى . وإخواننا الذين لم يأتوا بعد » . فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أُمَّتك يا رسول الله ؟ فقال : « أرأيت لو أن رجلًا له خَيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلةٌ . بين ظهرى خيل دُهْم بُهْم . ألا يعرف خيلهُ ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : فإنهم يأتون غرًّا محجلين من الوضوء . وأنا فَرَطُهُم على الحوض . ألَا لَيُذَادَنَّ رجال عن حوضى كما يُذاد البعير الضال . أناديهم : ألا هَلُمَّ ! فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك . فأقول : سُحْقًا سُحْقًا » [(1)] .

وهذا ما يحدث فى زماننا بالفعل . ولكن من هم السابقون

(١) أخرجه مسلم [٣٩/٢٤٩] ، وأحمد فى المسند [٣٠٠/٢] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

المقصودون فى قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ﴾ ونحن نعلم أن السابقين من المهاجرين هم أهل بدر ، الذين دخلوا أول معركة فى الإسلام ، مع أنهم خرجوا من المدينة ، لا ليشهدوا حرباً ، ولكن ليتعرضوا لعيراً تابعة لقريش تحمل بضائع ، وكانوا قد تركوا أموالهم وممتلكاتهم بمكة حين أخرجهم الكفار منها ، فأحبوا أن يغنموا تلك العير عوضاً عن مالهم الذى أخذته قريش منهم . ومع ذلك دخلوا الحرب ، لا مع القوافل التى ضمت العير والحراس والرعاة ، ولكن دخلوا الحرب مع النفير ، وهم من جاءوا ونفروا من مكة ، وهم صناديد قريش .

وهكذا كانت منزلة أهل بدر ، أنهم الذين سبقوا إلى الجهاد فى أول معركة للإسلام .

لذلك حين قرر رسول الله ﷺ فتح مكة أراد المفاجأة ، لكن حاطب بن أبى بلتعة كتب خطاباً إلى بعض أهل قريش يخبرهم بغزو النبى ﷺ لهم ، فأخبر الله تعالى نبيه ﷺ ، فقال النبى ﷺ لعلىّ رضى الله تعالى عنه ومعه الزبير والمقداد :

« ائتوا رَوْضَةَ خَاخٍ[1] فإن بها ظَعِينَةً[2] معها كتابٌ فخذوه منها » .

فقال الإمام علىّ : فانطلقنا تَعَادَى[3] بنا خَيلُنَا . فإذا نحن بالمرأة . فقلنا : أَخْرِجى الكتاب . قالت : ما معى كتاب . فقلنا : لَتُخْرِجِن الكتاب أو لَتُلْقِين الثياب . فأخرجته من عِقَاصِها[4] .

فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه : مِنْ حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين ، من أهل مكة ، يخبرهم ببعض أَمْرِ رسول الله ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ : « يا حاطب ! ما هذا ؟ » .

قال : لا تَعْجَل على يا رسول الله ! إنى كنت امْرَأً مُلْصَقًا فى قُريش وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات

---

(١) رَوْضَةَ خَاخٍ : هى بخاءين معجمتين . هذا هو الصواب الذى قاله العلماء كافة من جميع الطوائف وفى جميع الروايات ، وهى بين مكة والمدينة ؛ بقرب المدينة .

(٢) فإن بها ظَعِينَةً : الظعينة هنا الجارية . وأصلها الهودج . وسميت بها الجارية لأنها تكون فيه .

(٣) تَعَادَى : أى تجرى .

(٤) عِقَاصِها : أى شعرها المضفور ، جمع عقيصة .

يحمون بها أهليهم . فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم ، أن أتخذ فيهم يَدًا يحمون بها قرابتى . ولم أفعله كُفرًا ولا ارتدادًا عن دينى . ولا رضا بالكفر بعد الإسلام . فقال النبى ﷺ « صدق » .

فقال عمر : دعنى يا رسول الله أضرب عُنُقَ هذا المنافق . فقال : « إنه قد شهد بدرًا . وما يُدريك ؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة : ١] .

لأن أهل بدر دخلوا المعركة بدون عُدَّة ، وبدون استعداد ، ومع ذلك هانت نفوسهم عليهم فى سبيل الله ، فكأن الله تعالى قال لهم : أنتم عملتم ما عليكم ، وقد غفرت لكم كل ما تفعلونه من السيئات (١).

(١) أخرج البخارى [٣٠٠٧] ، ومسلم [١٦١/٢٤٩٤] واللفظ له ، عن عبيد الله بن رافع – وهو كاتب علىّ – قال : سمعت عليًّا رضى الله تعالى عنه وهو يقول : بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد . فقال : « ائتوا (=)

= رَوْضَةَ خَاخٍ فإن بها ظعينة معها كتابٌ . فخُذُوهُ منها » فانطلقنا تَعَادَى بنا خَيْلُنَا . فإذا نحن بالمرأة ، فقلنا : أخرجى الكتاب . فقالت : ما معى كتاب . فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لتُلْقِينَّ الثياب . فأخرجته من عِقَاصِهَا فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه : مِنْ حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين ، من أهل مكة ، يُخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : « يا حاطب ! ما هذا ؟ » قال : لا تعجل علىَّ يا رسول الله ! إنى كُنتُ امرأً مُلْصَقًا فى قريش « قال سُفيان : كان حليفًا لهم ولم يكن من أنفسها » وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قَرَابات يحمون بها أهليهم . فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم ، أن أتخذ فيهم يَدًا يحمون بها قرابتى . ولم أفعله كُفرًا ولا ارتدادًا عن دينى . ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام . فقال النبى ﷺ : « صدق » فقال عُمر : دعنى يا رسول الله ! أضربُ عُنُقَ هذا المنافق . فقال : « إنه قد شهد بدرًا . وما يُدريك ؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم . فقد غفرت لكم » . فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة : ١] .

إذن .. فالسابقون من المهاجرين هم أهل بدر ، وأهل الحديبية ، أهل بيعة الرضوان الذين رُدوا مع رسول الله ﷺ عن العمرة ، ثم عقد النبى ﷺ مع القرشيين المعاهدة .

والسابقون من الأنصار هم من جاءوا للنبى ﷺ فى مكة ، وأعطوا له العزوة وأعطوا له الأمان والعهد ، وكانوا اثنى عشر فى بيعة العقبة الأولى ، وخمسة وسبعين فى العقبة الثانية . هؤلاء هم السابقون .

وأضاف الحق إليهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ أى : من يأتى من بعدهم . ويتبعهم ويقتفى أثرهم ويلزم سنتهم .

○○○

قال الله تعالى :﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [النساء : ٥٧] .

فى هذه الآية يصف الحق سبحانه ثواب الذين آمنوا ، ونعلم أن آخر موكب من مواكب الرسالة هو رسالة محمد ﷺ . إذن : فأمة محمد ﷺ هى أقرب الأمم إلى لقاء الله . فالأمم من أيام آدم أخذت زمناً طويلاً ، لكننا نحن المسلمين قريبون من الساعة ، ولذلك يقول النبى ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين » [1].

ولذلك لم يقل الحق سبحانه فى هذه الآية : سوف ندخلهم ، بل قال : ﴿ سَنُدْخِلُهُمْ ﴾ ، أما مع الآخرين فاستخدم سبحانه « سوف » لأنها بعيدة ، أو أن هذا كناية وإشارة من الله لإمهال الكفار ليتوبوا ، وعندما يقربنا سبحانه من الساعة ، فإنه يغرينا بالطاعة ، فالمسألة ليست بعيدة ، بل قريبة ؛ لذلك يعبر عنها : ﴿ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ .

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد فى المسند [٣ / ٣١٩] عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء : ٦٩] .

والفعل هنا : « يطع » والمطاع هو : الله تعالى والرسول ﷺ ، أى : أن هذا الأمر تشريع الله مع تطبيق رسوله ﷺ ، أى : بالكتاب والسنة ، وساعة تجد الرسول معطوفًا على الحق بدون تكرار الفعل فاعلم أن المسألة واحدة .. أى : ليس لكل واحد منهما أمر ، بل هو أمر واحد ، قول من الله وتطبيق من الرسول ﷺ لأنه القدوة والأسوة ؛ ولذلك يقول الحق فى الفعل الواحد :

﴿ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ ... ﴾ [التوبة : ٧٤] .

فما أغناهم الله غنىً يناسبه وأغناهم الرسول ﷺ غنى يناسبه فالفعل هنا واحد .

فالغنى هنا من الله ورسوله ؛ لأن الرسول لا يعمل إلا بإذن ربه وامتثالاً لأمره ، فتكون المسألة واحدة .

هناك قضية تعرض لها العلماء وهى قضية قد تشغل كثيراً من الناس الذين عاصروا رسول الله ﷺ فكان مجلسه ﷺ ولا يصرف عنه قادم ، يأتى فيجلس حيث ينتهى به المجلس ، فالذى يريد أن يرى النبى ﷺ دائمًا يستمر فى مجيئه ، والذى يريد أن يراه كل فترة يأتى كلما أراد ذلك . وكان ثوبان مولى رسول الله ﷺ شديد الحب لرسول الله ﷺ ، قليل الصبر عنه ، فأتاه يوماً ووجهه متغير وقد نحل وهزل جسمه ، وعُرِف الحزن فى وجهه ، فسأله النبى قائلاً : ما بك يا ثوبان ؟ فقال : والله ما بى مرض ولا علة ، ولكنى أحبك وأشتاق إليك ، وقد علمت أنى فى الدنيا أراك وقتما أريد ، لكنك فى الآخرة ستذهب أنت فى عليين مع النبيين ، وإن دخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلك ، وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبداً [1] .

---

(١) ونص الحديث كما رواه ابن جرير - بسنده - عن سعيد بن جرير قال : « يا فلان مالى أراك محزوناً ؟ » فقال : يا نبى الله شيء فكرت فيه فقال : « ما هو ؟ » قال : نحن نغذو عليك=

انظر كيف يكون الحب لرسول الله ﷺ ، فالله سبحانه وتعالى يلطف بمثل هذا المحب الذى شغل ذهنه بأمر قد لا يطرأ على بال الكثيرين ، فيقول الحق سبحانه وتعالى تطميناً لهؤلاء : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أى : المطيعون لله والرسول ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ والمسألة جاءت هنا خاصة بثوبان ، بعد أن نبه الأذهان إلى قضية قد تشغل بال المحبين لرسول الله ﷺ ، فأنت مع من أحببت .

ولكن الأمر لا يقتصر على ثوبان . لقد كان كلام ثوبان سبباً فى الفتح والطمأنينة لكل الصديقين والشهداء والصالحين ، وهى أصناف تستوعب كل المؤمنين ، فأبو بكر الصديق .. صديق لماذا ؟ لأنه هو المبالغ فى تصديق كل ما يقوله رسول الله ﷺ ، فعندما قالوا له : إن صاحبك يدعى أنه أتى بيت

= ونروح ننظر إلى وجهك ونجالسك ، وغداً ترفع مع النبيين فلا نصل إليك ، فلم يرد عليه النبى ﷺ شيئا فأتاه جبريل بهذه الآية ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ .. فبعث النبى ﷺ إليه فبشره » .

المقدس وعاد فى ليلة ونحن نضرب إليها آكباد الإبل ، ماذا قال أبو بكر ؟ قال : إن كان قال ذلك فقد صدق[١] .

لم يعلل صدقه إلا بـ « إن كان قال ذلك » ، فهذا هو الصديق الحق ، فكلما قال محمد ﷺ شيئًا صدقه أبو بكر ، وأبو بكر - رضوان الله عليه - لم ينتظر حتى ينزل القرآن مصدقاً للرسول ﷺ بل بمجرد أن قال ﷺ : إنى رسول ؛ قال أبو بكر : نعم . إذن : فهو صديق .

(١) روى الحاكم فى المسند [٣/٦٢-٤٤٠٧] عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لما أسرى بالنبى ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك فارتد ناس فمن كان آمنوا له وصدقوه وسمعوا بذلك إلى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقالوا : هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلية إلى بيت المقدس ؟ قال : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم قال : لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا : أو تصدقه أنه ذهب الليلية إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : نعم إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة فلذلك سمى أبو بكر الصديق .
وقال الحاكم حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

وقوله تعالى : ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ و ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ تعنى النبين والصديقين والشهداء والصالحين ، ولا توجد رفقة أفضل من هذه ، والرفيق هو : المرافق لك دائماً فى الإقامة وفى السفر ، ولذلك يقولون : خذ الرفيق قبل الطريق ، فقد تتعرض فى الطريق لمتاعب وعراقيل ؛ لأنك خرجت عن رتابة عادتك ، فخذ الرفيق قبل الطريق .

إذن : فقوله : ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ مأخوذة من الرفق وهو : إدخال اليسر ، والأنس ، والراحة ، ويكون هذا الإنسان الذى أطاع الله ورسوله بصحبة النبيين ، والصديقين والشهداء ، والصالحين .

وقد يقول قائل : كيف يجتمع كل هؤلاء فى منزلة واحدة ؛ على الرغم من اختلاف أعمالهم فى الدنيا ، أليس الله هو القائل : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم : ٣٩] .

ونقول : ما دام المؤمن أطاع الله وأطاع الرسول ، أليس ذلك من سعيه ؟ فهذه الطاعة والمحبة لله ولرسوله هى من سعى العبد ؛ وعلى ذلك فلا تناقض بين الآيتين ؛ لأن عمل الإنسان هو سعيه ، ويصبح من حقه أن يكون فى معية الأنبياء والصديقين

والشهداء والصالحين . وقد تكون الصحبة تكريما لهم جميعا ليأنسوا بالصحبة ، وهذه المسألة ستشرح لنا قوله ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء : ٧٠] .

فالفضل من الله يستمد حيثيته من سعى الإنسان ، فقوله : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ حددت الحق الذى لك والذى توجبه : عدالة التكليف ، لكن ربنا لم يقل : إن هذا العطاء لله من الحق والعدل ، بل هو من الفضل ، والفضل من الله هو مناط فرح المؤمن ؛ لأنك مهما عملت فى التكليف فلن تؤديه كما يجب بالنسبة لله ؛ ولذلك أوضح سبحانه لنا : تنبهوا أنا كلفتكم وقد تعملون وتجتهدون ، لكن لا تفرحوا مما سيجمعه هذا العلم من حسنات ، ولكن سيكون فرحكم بما يعطيكم ربكم من فضله . قال سبحانه :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٥٨] .

وذلك الفضل من الله يرد على من يقول : كيف يجئ

« ثوبان » أو مَن دون « ثوبان » ويكون فى الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ونقول : لو لم تكن منزلته أدنى لما كان فى ذلك تفضُّل ، إنه ينال الفضل بأن كانت طاعته لله ولرسوله فوق كل طاعة ، أما حبه لله وللرسول ، فهذا من سعيه وعمله بتوفيق الله له - وما توفيقى إلا بالله - والفضل هو مناط فرح المؤمن ، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ ونحن نرضى ونفرح ونكتفى بعلم الله ؛ لأنه سبحانه يرتب أحكامه على علم شامل ومحيط ، ويعرف صدق الحب القلبى وصدق الوداد ، وصدق تقدير المؤمن لمن زاد عنه فى المنزلة .

○○○

قال الله تعالى : ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٧٤] ومادة : « شرى » ومادة « اشترى » كلها تدل على التبادل والتقابض ، فأنت تقول : « أنا اشتريت هذا الثوب بدرهم » أى : أنك أخذت الثوب ودفعت الدرهم « وشرى » تأتى أيضاً بمعنى : « باع » مثل قوله الحق : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ [يوسف : ٢٠] .

إذن : ف « شرى » من الأفعال التى تأتى بمعنى البيع وبمعنى الشراء ؛ لأن المبيع والمشترى يتماثلان فى القيمة ، وكان الناس قديماً يعتمدون على المقايضة فى السلع ، فلم يكن هناك نقد متداول ، وكان هناك من يعطى بعض الحب ويأخذ بعض التمر ، فواحد يشترى التمر وآخر يشترى الحب ، والذى جعل المسألة تأخذ صورة شراء وبيع ، هو وجود سلع تباع بالمال .

وما الفرق بين السلع والمال ؟ السلعة هى رزق مباشر والمال رزق غير مباشر .

فالمشترى يعطى ثمناً ويأخذ سلعة ، والحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النساء : ٧٤] .

فالمؤمن هنا يعطى الدنيا ليأخذ الآخرة التى تتمثل فى الجنة والجزاء ، ومنزلة الشهداء ؛ ولذلك يقول الحق سبحانه فى آية أخرى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ﴾ [التوبة : ١١١] .

تلك هى الصفقة التى يعقدها الحق سبحانه وتعالى مع المؤمنين ، وهو سبحانه يريد أن يعطينا ما نتعرف به على الصفقات المربحة ، فكل منا فى حياته يحب أن يعقد صفقة مربحة بأن يعطى شيئاً ويأخذ شيئاً أكبر منه ؛ ولذلك يقول سبحانه فى آية أخرى ﴿ يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر : ٢٩] .

هنا أيضاً تجارة ، وأنت حين تريد أن تعقد صفقة عليك أن تقارن الشئ الذى تعطيه بالشئ الذى تأخذه ثم افرق بينهما ،

ما الذى يجب أن يضحى به فى سبيل الآخر ؟

والحق سبحانه قد وصف الحياة بأنها « الدنيا » ولا يوجد وصف أدنى من هذا ، فبيِّن المسألة : إنك ستعطى الدنيا وتأخذ الآخرة ، فإذا كان الذى تأخذه فوق الذى تعطيه فالصفقة – إذن – رابحة ، فالدنيا مهما طالت فإلى نهاية .

إذن : فقيمة الدنيا هى : مقدار عمرك فيها ، ومقدار عمرك فيها مظنون .

ولماذا يدخل اللَّه العبد فى عملية البيع هذه ؟ لأن الحق سبحانه وتعالى قبل أن يعرض عليك الصفقة لتدخل فى عملية البيع التى تجهدك إن لم تَقْتُل أو تُقْتَل فى سبيل اللَّه لابد أن يوضح لك كيفية الغاية التى تأخذ بها الفوز فى الآخرة ، ولن تأخذ هذا الفوز بالكلام فقط ، ولكن انظر إلى المنهج الذى ستقاتل من أجله ، إنه تأسيس المجتمع الذى يؤدى كل امرىء فيه الأمانة

إذن : فلكى نحمى المجتمع لا بد أن نؤدى الأمانة وأن نقيم العدالة . ومن قبل ذلك أمرنا أن نعبد إلهاً واحداً فلا نتشتت ، ثم أوصانا بالوالدين والأقربين ، واليتامى والمساكين .

إن مثل هذا المنهج الذى يكفل أمان الجميع يستحق أن يدافع الإنسان عن تطبيقه . وقبل أن يفرض علينا القتال بين الحق سبحانه : هذا هو المجتمع الذى ستقاتلون من أجله ، واعلم أنك ساعة تذهب إلى القتال ، أقصى ما فيها أن تُقتل ، فستأخذ صفقة الآخرة ، وقصرت مسافة غاياتك ؛ لأن كل شئ إنما يقاس بزمن الغاية له ، فإن قتلت فقد قصرت المدة للوصول إلى الغاية .

والحق سبحانه يقول : ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٧٤] .

إذن .. فالقتال إنما جاء فى سبيل الله وإعلاء راية لا إله إلا الله . وسبحانه حينما يقول : ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فهذا يدلنا على أن هناك قتالاً فى غير سبيل الله ، كأن يقاتل الرجل حمية ، أو ليُعْلم مكانه من الشجاعة ، فقتال الرجل دائماً حسب نيته .

إذن : فالذى يقاتل فى سبيل الله هو أمام أمرين : إما أن يُقتل من الأعداء وإما أن ينتصر ، وهذه هى القضية الجدلية

التى تنشأ بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر ، والمقاتل من معسكر الإيمان يقول لمعسكر الكفر : أنا أقاتل لإحدى الحسنيين : وإما أن أقتل فأصبح شهيداً آخذ حياة أفضل من هذه الحياة ، وإما أن أنتصر عليك ، فلماذا تتربصون بنا أيها الكفار ؟

ولقد رأى رسول الله ﷺ الذين يقاتلون فى سبيل الله وعُرض عليه حالهم فى ليلة الإسراء والمعراج ، فقد رأى النبى ﷺ جماعة يزرعون ويحصدون بعد البذر مباشرة ؛ لأن الذى قتل فى سبيل الله إنما فعل ذلك إعلاء لكلمة الله ، فلا ينتهى قطفه أبدًا للخير الذى بذله ، وحياته مستمرة فى حياة الملايين [1] .

والحق سبحانه يقول : ﴿ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾إنه سبحانه يطيل أمد العطاء . انظروا دقة الأداء القرآنى ؛ لأن الذى يتكلم هو الله ،

---

(١) ذكر الحافظ فى الفتح [٧ / ٢٠٠] وعزاه للطبرانى والبزار عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه : قال : « مر رسول الله ﷺ بقوم يزرعون ويحصدون ، كلما حصدوا عاد كما كان ، قال جبريل : هؤلاء المجاهدون » .

ولنر كيفية ترتيب فعل على فعل ، فحين أقول لك : « احضر لى أكرمك » فبمجرد الحضور يحدث الإكرام ، ولكن إن قلت لك « إن حضرت إلىّ فسأكرمك » ، فهذا يعنى أن الزمن ممتد قليلاً ، فلن تكرم من فور أن تأتى ، بل أنت تحضر عندى ، وبعد ذلك بفترة يسيرة يحدث الإكرام .

وإن أردت أنا أن أطيل الزمن أكثر فإنى أقول : « إن حضرت إلىّ فسوف أكرمك » إذن .. فنحن أمام ثلاث مراحل لترتيب الجزاء على الفعل : جزاء يأتى من فور حصول الشرط ، وجزاء يأتى بعد زمن يسير تؤديه « السين » ، وجزاء يأتى بعد زمن أطول تؤديه « سوف » .

ولم يقل الحق سبحانه : من يقاتل فى سبيل الله نؤته أجرًا عظيمًا ، ولم يقل : فسنؤتيه أجراً عظيماً ، ولكنه قال : ﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهذا القول سيبقى ليوم القيامة ؛ لذلك كان لا بد أن تأتى « سوف » هنا ، وهذا دليل على أنه جزاء موصول لا مقطوع ولا ممنوع .

وقوله سبحانه ﴿ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ يلفتنا إلى أن كل فعل إنما هو حدث يتناسب مع فاعله أثرًا وقوة ، فالطفل عندما

يصفع آخر لا تكون صفعته فى قوة الشاب أو قوة الرجل ، فإذا كان الذى يعطى الأجر مثيلاً لك فسيعطيك أجراً على قدره ، لكن إذا كان من يعطى هو ربنا ، فسيعطى الأجر على قدره ، ولا بد أن يكون عظيماً ، والأجر هو الشئ المقابل للمنفعة .

وهناك فرق بين الأجر والثمن ؛ فالثمن مقابل العين ، أما الأجر فهو مقابل المنفعة ، أنا اشتريت هذه ، فهذا يعنى أنى دفعت ثمناً ، لكن إن استأجرت شيئاً فهو لصاحبه ولكن أخذته لأنتفع به فقط ، وجزاء الحق لمن يقتل فى سبيل الله ، أهو أجر أم ثمن ؟ ونلتفت هنا إلى أن الحق قد بين : أنا لم أثمن من قتل ، بل نظرت لعمله ، وجهاده واستشهاده وأعطيته ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

ويقول الحق سبحانه : ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران : ١٧٠] .

والعدل يتحقق بين البشر بأن كلًّا منهم يموت ، ولكن الفضل أن يعجل الله انقضاء الحياة فى الدنيا لمن يحبهم بالاستشهاد وينقلهم إلى رضوانه ونعيمه ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وليس هذا فقط ، بل إننا نجد الأخوة الإيمانية

قد بقيت فيهم وليست كخاصية الأحياء بل أنقى وأبقى من خاصية الأحياء ، فالخاصية الإيمانية تقتضى أن يحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه (١) ، والشهداء فى حياتهم عند ربهم كذلك ، مما يدل على أن الحياة التى يحياها الشهداء هى حياة نامية فيها رزق ومواجيد وفرح ، وكل شهيد يعتبر أن هذا فضل من الله تعالى قد فضله به ؛ ولذلك فالشهيد يستبشر بالذى لم يأت من بعده من إخوانه المؤمنين ، ويقول : ياليتهم يأتون ليروا ما نراه . ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم ﴾ : « يستبشرون » من البشرى ، والبشرى هى الخبر السار ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم ﴾ ويلحقوا أى : يأتوا بعدهم ، فالشهداء يقولون : إنهم سيأتون لنا وما داموا سيأتون لنا فنحن نحب أن يكونوا معنا فى النعيم والخير الذى نحيا فيه . وكل منهم يشعر بالمحبة لأخيه ، لأنه يعلم قول الرسول ﷺ « لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه » (٢)

(١) أخرج البخارى [١٣] ومسلم [٤٥/٧١] عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

(٢) سبق تخريجه .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن فضلهم قالوا : ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلَّا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب . فقال الله – عز وجل : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله هذه الآيات : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ وما بعدها (١) .

ونعرف أن « البِشْرَ » عادة هو الفرحة ، وهى تبدو على بشرة الإنسان ، فساعة يكون الإنسان فرحاً ، فالفرحة تظهر وتشرق فى وجهه ، ولذلك نسميها « البشارة » ؛ لأنها تصنع فى وجه المبشَّر شيئاً من الفرح مما يعطيه بريقاً ولمعاناً وجاذبية .

﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أى : أن الذين خُلفوا عن الشهادة لا خوف

(١) رواه أحمد فى المسند [١/ ٢٦٦] وأبو داود [٢٥٢٠] عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وأخرج مسلم [١٨٨٧/ ١٢١] =

عليهم ؛ فهؤلاء الذين لم يستشهدوا بعد قد يخوضون معركة ما ، فيقول الحق سبحانه على لسان الشهداء لكل منهم : لا تخف لأنك ستذهب لخير فى الحياة ﴿ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

ooo

= والترمذى [٣٠١١] وابن ماجه [٢٨٠١] عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه .

كافل اليتيم

أخرج البخارى [٦٠٠٥] ومسلم [٤٢:٢٩٨٣] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » وقال : بإصبعه السبابه والوسطى .

قال الحافظ فى الفتح [١٢/ ٤٩] « قال شيخنا فى « شرح الترمذى » لعل الحكمة فى كون كافل اليتيم يشبه فى دخول الجنة أو شبهت منزلته فى الجنة بالقرب من النبى أو منزلة النبى لكون النبى شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلًا لهم ومعلمًا ومرشدًا ، وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دناه ، ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه ، فظهرت مناسبة ذلك » اهـ ملخصًا .

ooo

الساعى على الأرملة والمسكين

أخرج البخارى [٦٠٠٦] ومسلم [٤١/٢٩٨٢] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل »

قال النووى فى شرح مسلم [٣٣٩/٩] قوله ﷺ « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله » المراد بالساعى الكاسب لهما ، العامل لمؤنتهما ، والأرملة من لا زوج لها ، سواء كانت تزوجت أم لا ، وقيل : هى التى فارقت زوجها ، قال ابن قتيبة : سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال : وهو الفقر ، وذهاب الزاد بفقد الزوج ، يقال : أرمل الرجل إذا فنى زاده . قوله ﷺ كافل اليتيم : القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك ، وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه ، أو من مال اليتيم بولاية شرعية .

○○○

قول أهل الجنة عند دخولهم الجنة

يحمد أهل الجنة الله سبحانه وتعالى على أن هداهم للإيمان والإسلام ، ويسر لهم اتباع تكاليفه ومنهجه لذلك ، فأول قول يقولون ساعة يعاينوا فضل الله تعالى عليهم هو : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

ونحن نقول الحمد لله فى الدنيا شكراً لله على نعمه ، ونقولها فى الآخرة لأن الشكر سيكون أكبر ، لأن الأشياء ستأتينا بمجرد أن ترد على خاطرنا ، ولأن نعم الله لا تعد ولا تحصى ، والحمد لله هنا أنه قد أنزل إلينا المنهج الذى عملنا به لنصل إلى هذا النعيم ، والذى أعاننا على طريق الإيمان ، والحمد لله الذى أرسل لنا رسله لتهدينا إلى الطريق .

○○○

تحية أهل الجنة

قال الله تعالى : ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس : ١٠] .

دعواهم : أى دعاؤهم .

وهل الآخرة دار تكليف ؛ حتى يواصلوا عبادة الله ؟ لا ، ولكنها شكر للمنعم .

فكلما رأوا شيئاً يقولون : لقد أكلنا ذلك من قبل ، ولكنهم يعرفون حين يأكلون ثمار الجنة أن ما فى الأرض كان يشبه تلك الثمار ، لكنه ليس مثلها .

ولذلك ﴿ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ... ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

وقولهم : ﴿ سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ اعترافًا بالنعمة ، وأنت حين ترى شيئاً يعجبك تقول : سبحانك يا رب . وبعد أن تأتى لك النعمة وتقول : سبحان الله ، وتفاجأ بأشياء لم تكن فى الحسبان ، من فرط جمالها ؛ فتقول : الحمد لله .

إذن .. فأنت تستقبل النعمة « بسبحان الله » ، وتعيش

النعمة « بالحمد لله » ولذلك يقول الحق سبحانه : ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ والذى يجعل للحياة الدنيا معنى ، ويجعل لها طعماً ويجعل لها استقراراً ، أن يكون الإنسان فى سلام .

ومعنى السلام : الاطمئنان والرضا ؛ فلا بعضها يبعض مهيجات ، ولا منغصات ، ولا يأتى ذلك إلا بعدم اصطدام ملكات النفس بعضها ببعض ؛ فيتحقق سلام الإنسان مع نفسه ، وسلام الإنسان مع أهله ، وهذا هو المحيط الثانى ، وسلام الإنسان مع قومه ، وسلام الإنسان مع العالم كله ، كل ذلك سلام ، أى : لا منغص من نفسه ، ولا من أهله ، ولا من قومه ، ولا من العالم . وكلما اتسعت رقعة السلام زاد إحساس الإنسان بالاطمئنان .

وحين يقول الحق سبحانه : ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ ، فالسلام وارد فى أشياء متعددة ، والحق سبحانه يقول فى آية أخرى : ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨ ﴾ [يس] .

وهذا هو السلام الذى له معنى ؛ فهو سلام من الله . ولم يقل سبحانه : إنه سلام يورثك اطمئناناً ونفساً راضية فقط ، بل هو سلام بالقول من الله ، وانظر .. أى سعادة حين يخاطبك الحق سبحانه وتعالى بدون ترجمان بل بلغة تفهمها ؟ .

وهناك فرق بين أن يشيع الله فيك السلام وبين أن يحييك سبحانه بالسلام . وهذا هو السبب فى قوله : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس : ٥٨] .

وهذا سلام الله ، ثم من بعد هذه المنزلة يأتى سلام الملائكة : ﴿ ... وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ... ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد] .

إذن .. فقول الحق هنا : ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ نجد فيه كلمة السلام رمز الرضا والاستقرار فى الجنة ؛ فالسلام هو أول الأحاسيس التى تحبها فى نفسك ، ولو كان الناس كلهم ضدك . لكنك ساعة تستقر ، فأنت تسائل نفسك : ماذا فعلت ليكون البعض ضدى ؟ وحين تجيب نفسك : « إننى لم أفعل إلا الخير » ؛ فأنت تحس السلام فى نفسك . وإذا ما رحب الآخرون بما تفعل ، فالحياة تسير ، بلا ضد ولا حقد ،

وهذا ما قاله رسول الله ﷺ : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فيدخل رجل معروف إلى أصحاب رسول الله ﷺ فلما انصرف ؛ قام واحد من الصحابة ، وذهب إلى الرجل ؛ ليعلم ماذا يصنع ، وبات عنده ليلة ليطلع على أمره ، ليجتهد أن يكون مثله ، فوجد الرجل نام بعد العشاء ولم يقم الليل ، ولم يقرأ ، ولم ... ولم ... غير أنه إذا تقلب فى فراشه ذكر الله وحمده ، فلما أصبح الصباح سأله : ماذا فعلت حتى بشرك الرسول ﷺ بالجنة ؟

قال الرجل : إنى لأصلى كما تصلون ، وأصوم كما تصومون ، وأزكى كما تزكون ، ولكنى أبيت وما فى قلبى غلٌّ لأحد من المسلمين » (١) .

---

(١) روى أحمد فى المسند [١٦٦/٣] عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » . فطلع رجل من الأنصار ، تنطف لحيته من وضوئه ، قد تعلق نعليه فى يده الشمال ، فلما كان الغد ، قال النبى ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبى ﷺ مثل مقالته أيضاً ، =

هذا هو السلام النفسى ، وإذا ما وصل الإنسان إلى السلام مع النفس ؛ فلا يخشى الدنيا وما فيها . ومن عنده سلام مع نفسه ، ومع بيته ، ومع مجتمعه ؛ فيهبه اللّه سلاماً من عنده .

= فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام النبى ﷺ تبعه عبد اللّه بن عمرو بن العاص ، فقال : إنى لاحيت أبى ، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً ، فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى فعلت . قال : نعم .

قال أنس : وكان عبد اللّه يحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تَعَارَّ وتقلب على فراشه ذكر اللّه عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر.

قال عبد اللّه : غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيراً .

فلما مضت الثلاث ليالٍ وكدت أن أحقر عمله . قلت : يا عبد اللّه ، إنى لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجر ثَمَّ ، ولكن سمعت رسول اللّه ﷺ يقول لك ثلاث مرارٍ : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » ، فطلعت أنت الثلاث مرارٍ ، فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، فما الذى بلغ بك ما قال رسول اللّه ﷺ ؟ فقال : ما هو إلا ما رأيت ؟ قال : فلما ولَّيت دعانى . فقال :=

○○○

= ما هو إلا ما رأيت ، غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشًّا ، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه اللّه إياه .

فقال عبد اللّه : هذه التى بلغت بك وهى التى لا نطيق .

وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

نساء أهل الجنة

يقول الله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥] .

الزوجة هى متعة الإنسان فى الدنيا إن كانت صالحة ، والمنغصة عليه حياته إن كانت غير صالحة .

وهناك منغصات فى الدنيا تستطيع أن تضعها المرأة فى حياة زوجها تجعله شقيًا فى حياته ، كأن لا تسمع لقوله ، وتكون سليطة اللسان ، أو دائمة الشجار ، أو لا تعطى اهتماماً لزوجها ، أو تحاول إثارته بأن تجعله يشك فيها مثلاً .

أما فى الآخرة فتزول كل هذه المنغصات بأمر الله تعالى . فالزوجة فى الآخرة مطهرة من كل ما يكرهه الزوج فيها ، وما لم يحبه فى الدنيا يختفى . فالمؤمنون فى الآخرة مطهرون من كل نقائص الدنيا ومتاعبها وأولها الغل ، والحقد ، واقرأ قوله جل جلاله : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] .

فمقاييس الدنيا ستختفى وكل شىء تكرهه فى الدنيا لن

تجده فى الآخرة ، فإذا كان أى شىء قد نغص عليك حياتك فى الدنيا فإنه سيختفى فى الآخرة ، والحق تبارك وتعالى ضرب المثل بالزوجات لأن الزوجة هى متعة زوجها فى الدنيا ، وهى التى تستطيع أن تحيل حياته إلى جحيم ؛ أو تجعلها نعيم .

وقوله تعالى : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [آل عمرن : ١٥] إنه الخلود الذى لا يفنى ، ولا يتركه الإنسان ولا يترك هو الإنسان .

والأزواج المطهرة هى وعد من الله للمؤمنين ، ومعلوم أن المرأة فى الدنيا يطرأ عليها أشياء قد تنفر ، إما خَلْقاً تكوينياً ، وإمًا خُلُقاً ، فهناك وقت لا يجب أن يقرب فيه الرجل المرأة ، وقد يكون فيها خصلة من الخصال السيئة فيكره الإنسان جمالها .

لذلك فالرجل قد ينخدع بالمظهر الخارجى للمرأة فى الدنيا ، وقد يقع الإنسان فى هوى امرأة فيجد فيها خصلة يكرهها ، أما فى الآخرة فالأمر مختلف ، هناك ﴿ وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ أى : مطهرة من كل عيب يعيب نساء الدنيا .

وقوله : ﴿ وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ ، من الذى طهرها ؟ إنه هو

الله سبحانه وتعالى طهرها خَلْقاً وخُلُقاً . فالرجل فى الدنيا قد يهوى امرأة ، وتستمر نضارتها فترة من الزمن مثلًا تستميله وتجذبه ، ثم تبدأ التجاعيد والترهل ومن ثم التنافر .

أما فى الآخرة فالمرأة مطهرة من كل شىء ، وتظل على نضارتها وجمالها ، أليس هذا تصعيداً للخير ؟

ooo

الحور العين *

عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لروحة فى سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد ، يعنى : سوطه خير من الدنيا وما فيها ، =

(*) قال ابن القيم : والحُور جمع حَوْرَاء وهى المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين .

والصحيح أن الحُور مأخوذ من الحَوَر فى العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين .

وفى الصحاح : الحَوَر شدة بياض العين فى شدة سوادها ، امرأة حَوْرَاء بيِّنَة الحَوَر .

ومن محاسن المرأة : اتساع عينها فى طول ، وضيق العين فى المرأة من العيوب .

ويستحب السعة منها فى أربعة مواضع : وجهها وصدرها وكاهلها وهو ما بين كتفيها وجبهتها .

ويستحسن البياض منها فى أربعة مواضع : لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها . =

= ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملئته ريحًا ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها »(1).

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتى تليها على أضوإ كوكب دُرّى فى السماء ، لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ، وما فى الجنة أعزب »(2).

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « للرجل من أهل الجنة زوجتان من حور العين ، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب »(3).=

= ويستحب السواد منها فى أربعة مواضع : عينها وحاجبها وهدبها وشعرها .

(1) أخرجه البخارى [2796] .

(2) أخرجه البخارى [3246] ، ومسلم [14/2834] واللفظ له .

(3) رواه أحمد [345/2] ، وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

= وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن : 58] قال : « ينظر إلى وجهه فى خدها أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب ، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبًا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك » .

ooo

أناس يقادون إلى الجنة بالسلاسل !

يقول رسول الله ﷺ : « عجب ربنا عز وجل من قوم يَقَادُونَ إلى الجنَّة فى السَّلاسِل » (١) .

فكيف يقاد الإنسان إلى الجنة رغماً عنه ؟ نقول : إن هذا الحديث يشمل عدة طوائف قيدت إلى طريق الإيمان وهى كارهة . ثم ذاقت حلاوة الإيمان فانطلقت فى الطريق إلى آخره ، وأول من ينطبق عليه هذا ؛ هم أسرى الحرب من الكفار أو من غير المسلمين ، تم أسرهم أثناء القتال فانقادوا بالسلاسل إلى معسكرات الأسرى ، انقادوا وهم كارهون ، وفى خلال إقامتهم بهذه المعسكرات أُتيحت لهم الفرصة للنظر فى قضية الإيمان بعيدًا عن أى تأثير آخر . فجلسوا يفكرون ويناقشون ويستمعون فاقتنعوا بهذا الدين وآمنوا ، وجذبهم الإيمان فدرسوا الدين فازدادوا إيمانًا وصلح عملهم

(١) رواه أبو داود [٢٦٧٧] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٢٣٣٠] ، وعنه عند البخارى [٣٠١٠] « عجب الله من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل » .

فأصبحوا من أهل الجنة ، أولئك كانت بداية اتجاههم إلى الإيمان وبداية طريقهم إلى الجنة ، أنهم انقادوا بالسلاسل ، فكأنهم لولا هذه السلاسل التى وضعت فى أيديهم وأرجلهم ما كانوا قد اتجهوا إلى الإيمان ولا دخلوا الجنة .

وهناك فئة ثانية ينطبق عليها الحديث الشريف وهم كل من يذهب مضطرًا إلى مجالس العلم ومجالس الذكر ، فلنفرض أن هناك رجلا أعمى وله ابن ، والرجل يريد أن يذهب إلى المسجد وأن يصلى وأن يستمع إلى الأحاديث الدينية إلى آخر ذلك ، ولذلك فإنه يأخذ ابنه معه ليدله على الطريق ذهابًا وإيابًا ، ويضطر الابن إلى أن يذهب مع أبيه وهو غير راغب ، فكأنه يقاد رغمًا عنه ثم تمضى فترة ، فإذا بهذه المجالس الدينية تجذب الابن تجاه الدين ، ويحس أنه يريد أن يعرف أكثر فيقرأ ويتبع المنهج ويزداد إيمانًا .

إذن .. هو فى البداية انقاد إلى الجنة رغما عنه وكأنه يقاد بالسلاسل ، ثم بعد ذلك مضى فى الطريق وأحب الطاعة وأخلص لله ، وعلى أية حال فإن أى إنسان بدأ الطريق إلى الله وهو غير راغب إنما كان مضطرًا ، ثم هدى الله قلبه إلى

الإيمان فإنه يكون من الذين انقادوا إلى الجنة بالسلاسل .

ولسائل أن يسأل : هل يدخل الجنة من لا عمل صالح له ؟

نقول : نعم ، هناك من سيدخل الجنة ولا عمل له ، فلنفرض أن رجلًا آمن وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، شهادة خالصة مخلصة ليس فيها رياء ولا نفاق ، ولكن فيها صدق الإيمان ، وبعد أن شهد الرجل بهذه الشهادة انتهى أجله ، مات أو صدمته سيارة أو نزل فوق رأسه حجر ، فإنه يدخل الجنة ، لأن شهادة أن لا إله إلا الله تجُبُّ ما قبلها ، ولقد كان مخيرق أحد أحبار اليهود ثم هداه الله فنطق بالشهادة وأعلن إيمانه ، وقبل أن يدخل المعركة قال : أعطوا مالى لمحمد ، ثم دخل المعركة فاستشهد ، ولم يصل لله ركعة واحدة ، ولكنه قبل أن يموت آمن ونطق بالشهادتين ؛ وعندما بلغ أمره لرسول الله ﷺ قال : « مخيرقُ نِعْمَ يَهود » ، على الرغم من أنه لم يصل ركعة واحدة لله فقد دخل بإيمانه الجنة .

وقد ورد أن أهل الجنة بالنسبة لأهل النار سيكونون بنسبة واحد إلى ألف ، فقد جاء فى الحديث القدسى : « يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم . فيقول : لبيك ربنا وسعديك .

فينادى صوت : إن الله يأمرك أن تُخرِجَ من ذُريتك بعثاً إلى النار ، فيقول آدم : وما بعثُ النار ؟ فيقال : من كل ألف تسعُمائة وتسعة وتسعون » [(1)] .

---

(١) أخرج البخارى [٣٣٤٨] ، ومسلم [٣٧٩/٢٢٢] واللفظ له عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : يا آدم ! فيقول : لبيك ! وسعديك ! والخير فى يديك ! قال : يقول : أَخْرِج بَعْثَ النار . قال : وما بعث النار ؟ قال : مِنْ كُلِّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعين . قال : فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سُكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » قال : فاشتد ذلك عليهم . قالوا : يا رسول الله ! أَيُّنا ذلك الرجل ؟ فقال : « أبشروا . فإن من يأجوج ومأجوج ألفا . ومنكم رجل » قال : ثم قال : « والذى نفسى بيده ! إنى لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة » فحمدنا الله وكبرنا . ثم قال : والذى نفسى بيده ! إنى لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة » فحمدنا الله وكبرنا . ثم قال : « والذى نفسى بيده ! إنى لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة . إن مثلكم فى الأمم كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود . أو كالرقمة فى ذراع الحمار » .

رؤية الله تعالى فى الجنة

قال سبحـانه وتعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة] .

المؤمنون فى الجنة لن يتمتعوا فى الآخرة لضرورة الحاجة للمتعة ، بحيث إذا ما جاءت النعمة فرحوا بها ، إن الأمر لا يقتصر على ذلك وإنما يتعداه إلى أنكم - أيها المؤمنون - سيكون قمة طلبكم ، وأعظم نعمة عليكم أن تروا المنعم سبحانه ، فمادام المؤمن الذى يدخل الجنة يجد كل ما يشتهى بل إنه لا يشتهى شيئاً إلا ويأتيه ، فهو يستمتع بقدر عطاء الله اللانهائى وقدراته سبحانه المطلقة .

ومن المؤمنين من يتطلع إلى أكثر من ثمار الجنة ، وما فيها من نعيم ، ويكون مشغولاً بطلب رؤية ربه سبحانه وتعالى ، ذلك المؤمن مكانه جنة من الجنان اسمها : ﴿ عِلِّيُّونَ ﴾ و ﴿ عِلِّيُّونَ ﴾ هذه ليس فيها شىء مما تسمعه عن الجنة ، ليس فيها إلا أن تلقى الله . إنّ الرزق والنعم ليسا من أجل قوام الحياة فى الجنة ، بل إن الإنسان سيكون له الخلود فيها بفضل الله تعالى وعظمته ؛ فالذى يحتاج إليه الإنسان من أجل نعيم أجل

وأعلى هو : رضوان من الله سبحانه وتعالى .

إن رضوان الله أكبر من كل شىء . ولقد نبأنا الله بما فى الجنات من نعيم عظيم ، ونبأنا سبحانه بما هو أعلى من كل ذلك . لقد نبأنا الله بأن رضوانه الأكبر هو أن يضمن المؤمن أنْ يظفر برؤية ربّه . وهذا ما يقول فيه الله سبحانه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] [القيامة] .

---

(١) يقول ابن القيم فى كتابه حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح فى باب :

رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة ؛ كما يرى القمر ليلة البدر ؛ وتجليه لهم ضاحكا إليهم :

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدراً وأعلاها خطرًا ، وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة ، وأشدها على أهل البدعة والضلالة ، وهى الغاية التى شمر إليها المُشَمِّرون وتنافس فيها المتنافسون ، وتسابق إليها المتسابقون ، ولمثلها فليعمل العاملون . إذا نالها أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم . وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم . اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ، وجميع الصحابة والتابعون ، وأئمة الإسلام على تتابع القرون . وأنكرها أهل البدع المارقون ،=

= والجهمية المتهوكون ، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون ، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون ، ومن حبل الله منقطعون ، وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون ، وللسنة وأهلها محاربون ، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون ، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون .

الدليل الأول : أخبر الله سبحانه عن أعلم الخلق به فى زمانه وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال له ربه تبارك وتعالى : ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة :

أحدها : أنه لا يُظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه ، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال . فيالله العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عُباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران ، وبما يستحيل عليه ، ويجب له وأشد تنزيها له منه ؟! =

= **الوجه الثانى** : أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ، ولو كان محالًا لأنكره عليه . ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيى الموتى ، لم ينكر عليه ، ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله ، ولما سأل نوح ربه نجاة ، ابنه أنكر عليه سؤاله وقال : ﴿ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ ﴾ [هود] .

الوجه الثالث : أنه أجابه بقوله : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ولم يقل : « لا ترانى » ولا « إنى لست بمرئى ولا تجوز رؤيتى » والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله . وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يُرى ، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته فى هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى .

الوجه الرابع : وهو قوله : ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له فى هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذى خُلق من ضعف .

الوجه الخامس : أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل =

= الجبل مستقرًا مكانه ، وليس هذا بممتنع فى مقدوره ، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت مُحالاً فى ذاتها لم يعلقها بالممكن فى ذاته .

الوجه السادس : قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى ، فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذى هو جماد لا ثواب له ولا عقاب ، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه فى دار كرامته ويريهم نفسه ؟ فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته فى هذه الدار فالبشر أضعف .

الوجه السابع : أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يُسمِعَ مُخاطِبَه كلامَه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم .

وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين فأنكروا أن يكلم أحدًا أو يراه أحد . ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم نبى الله جواز رؤيته من وقوع خطابه =

= وتكليمه ، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه ، ولكن أراه أن ما سأله لا يَقْدِر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه .

وأما قوله تعالى : ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ فإنما يدل على النفى فى المستقبل ولا يدل على دوام النفى ، ولو قيدت بالتأبيد ، فكيف إذ أطلقت ؟ قال تعالى : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ [البقرة : ٩٥] مع قوله تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ .

الدليل الثانى :

قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ﴾ [البقرة:٢٢٣] .
وقوله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ [الأحزاب : ٤٤] .
وقوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ [الكهف : ١١٠] .
وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نُسِبَ إلى الحى السليم من العمى والمانع ، اقتضى المعاينة والرؤية .

ولا ينتقض هذا بقوله تعالى : ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ [التوبة : ٧٧] فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى فى عَرَصَات القيامة بل والكفار أيضًا كما فى الصحيحين من حديث التجلى يوم القيامة . =

= وفى هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة :

أحدها : أن لا يراه إلا المؤمنون .

والثانى : يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك .

والثالث : يراه المنافقون دون الكفار .

والأقوال الثلاثة فى مذهب أحمد وهى لأصحابه وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم فى تكليمه لهم ، ولشيخنا فى ذلك مُصَنَّفٌ مُفْرَد وحكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها .

وكذا قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الإنشقاق : ٦] . إن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته فى الكتاب مسطوراً مثبتًا . وإن عاد على الرب سبحانه وتعالى فهو لقاؤه الذى وعد به .

الدليل الثالث :

قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس] . =

= فالحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجهه الكريم . كذلك فسرها رسول الله ﷺ الذى أُنزِلَ عليه القرآن فالصحابة من بعده .

روى مسلم فى صحيحه من حديث صهيب عن النبى ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال : يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئًا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟! قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل »[1] وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال النظر إلى وجه ربهم تعالى .

وعن ابن عباس وابن مسعود رضى الله تعالى عنهما : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ قال : أما الحسنى فالجنة ، وأما الزيادة فالنظر إلى وجه الله وأما القتر فالسواد .

وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى وعامر بن سعد وإسماعيل =

(١) أخرجه مسلم [١٨١/٢٩٧] ، والترمذى [٢٥٥٢] ، وابن ماجه [١٨٧] .

= ابن عبد الرحمن السدى والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن سابط وأبو إسحاق السبيعى وقتادة وسعيد بن المسيب والحسن البصرى وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبر : الحسنى : الجنة . والزيادة : النظر إلى وجه الله تعالى .

وقال غير واحد من السلف فى الآية : ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ بعد النظر إليه . والأحاديث عنهم بذلك صحيحة .

ولما عطف سبحانه الزيادة على الحُسْنَى التى هى الجنة دل على أنها أمر آخر وراء الجنة وقَدْرٌ زائد عليها .

الدليل الرابع :

قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] .

ووجه الاستدلال بها ، أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار ، كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه ، فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضًا محجوبين عنه .

وقد احتج بهذه الحجة الشافعى نفسه وغيره من الأئمة ، فذكر الطبرانى وغيره عن المزنى قال : سمعت الشافعى يقول فى قوله عز وجل : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ فقال الشافعى : لما أن حجب هؤلاء فى السخط كان فى هذا =

= دليل على أن أولياءه يرونه فى الرضى .

قال الربيع فقلت : يا أبا عبد الله وبه تقول ؟ قال : نعم وبه أدين الله ، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عَبَدَ الله عز وجل .

الدليل الخامس :

قوله عز وجل : ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [سورة ق : ٣٥] .

قال الطبرانى : قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك : « هو النظر إلى وجه الله عز وجل » ، وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره .

الدليل السادس :

قول الله عز وجل : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] .

والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النُفاة ، وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه ، وقال لى : أنا ألتزم أنه لا يحتج مُبْطِلٌ بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفى ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله ، فمنها هذه الآية وهى على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها ، فإن الله سبحانه إنما ذكرها فى سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون =

= بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يُمدَح به وإنما يُمْدَح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجوديًا كتمدحه بنفى السِنَة والنومَ المتضمن كمال القومية ، ونفى الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفى اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ، ونفى الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره ، ونفى الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه ، ونفى الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه ، ونفى الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه ، ونفى النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته ، ونفى المِثْل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ، ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتيًا فإن المعدوم يشارك الموصوف فى ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه ، فلو كان المراد بقوله : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أنه لا يُرى بحال لم يكن فى ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له فى ذلك فإن العدم الصرف لا يُرى ولا تدركه الأبصار والرب جَل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض ، فإذا المعنى : أنه يُرى ولا يُدرك ولا يُحاط به ، كما كان المعنى =

= فى قوله : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾ [يونس : ٦١] أنه يعلم كل شيء ، وفى قوله : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [سورة ق : ٣٨] أنه كامل القدرة ، وفى قوله سبحانه : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٩] أنه كامل العدل ، وفى قوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] أنه كامل القيومية .

فقوله : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء ، وأنه لعظمته لا يُدْرَك بحيث يُحاط به ، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ... ۝٦٢ ﴾ [الشعراء : ٦١] فلم ينفِ موسى الرؤية ، ولم يريدوا بقولهم : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ إنا لمرئيون فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله : ﴿ كَلَّآ ﴾ وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٧٧] فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك كما يُعلم ولا يُحاط به .

وهذا هو الذى فهمه الصحابة والأئمة من الآية . =

= قال ابن عباس : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ لا تحيط به الأبصار .

وقال قتادة : هو أعظم من أن تدركه الأبصار .

وقال عطية : ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته ، وبصره يحيط بهم ، فذلك قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ . فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عيانًا ولا تدركه أبصارهم بمعنى أنها لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئًا يحيط به وهو بكل شيء محيط وهكذا يَسمَعُ كلامَ من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه وهكذا يَعْلَمُ الخَلقُ ما علمَهُم ولا يحيطون بعلمه .

الدليل السابع :

قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾ [القيامة] .

وأنت إذا أجزت(1) هذه الآية من تحريفها عن مواضعها ، والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها ، وجدتها منادية نداءً صريحًا أن الله سبحانه يُرى عيانًا بالأبصار يوم القيامة ، وإن أبيت إلا تحريفها الذى يسميه المحرفون تأويلًا ،=

(1) أى : منعت تأويلها .

= فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها ، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ، ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص ، وهذا الذى أفسد الدين والدنيا .

وإضافة النظر إلى الوجه الذى هو محله فى هذه الآية ، وتعديته بأداة ﴿ إِلَىٰ ﴾ الصريحة فى نظر العين ، وإخلاء الكلام من قرينة - تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بـ ﴿ إِلَىٰ ﴾ خلاف حقيقته وموضوعه - صريح فى أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه إلى نفس الرب جل جلاله فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه : فإن عُدِّى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله : ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ . فإن عُدِّى بـ ﴿ فِى ﴾ فمعناه التفكر والاعتبار كقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] . وإن عُدِّى بـ ﴿ إِلَىٰ ﴾ فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله : ﴿ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾ . فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذى هو محل البصر ؟! =

= عن الحسن قال : نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فَنَضَرَت بنوره .
وعن ابن عباس : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال : تنظر إلى وجه ربها عز وجل .
وقال عكرمة : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال : من النعيم ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال : تنظر إلى ربها نظراً ، ثم حكى عن ابن عباس مثله . وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث .
وعن أبي هريرة رضى اللّه تعالى عنه : « أن ناسًا قالوا لرسول اللّه ﷺ : يا رسول اللّه هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول اللّه ﷺ : « هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ؟ » قالوا : لا يا رسول اللّه . قال : « هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ » قالوا : لا يا رسول اللّه ، قال : « فإنكم ترونه كذلك ، يجمع اللّه الناس يوم القيامة فيقول : مَن كان يَعْبُدُ شيئًا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم اللّه تبارك وتعالى فى صورة غير صورته التى يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ باللّه منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم اللّه عز وجل فى =

= صورته التى يعرفون فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه ، ويُضْرَب الصِرَاط بين ظهرَى جهنم ، فأكون أنا وأمتى أول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ ، وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم السعدان ؟ » قالوا : نعم يا رسول اللّه ، قال : « فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا اللّه عز وجل ، تُخْطَفُ الناس بأعمالهم ، فمنهم المؤمن بقى بعمله ، ومنهم المُجَازَى حتى ينجى ، حتى إذا فرغ اللّه من القضاء بين العباد ، وأراد أن يُخرِج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك باللّه شيئًا ، ممن أراد اللّه تعالى أن يرحمه ممن يقول : « لا إله إلا اللّه » ، فيعرفونهم فى النار ، يعرفونهم بأثر السجود ، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم اللّه على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار وقد امتَحَشُوا ، فَيُصَبُّ عليهم ماء الحياة ، فينبتون منه كما تنبت الحبة فى حَمِيل السيل ، ثم يفرغ اللّه تعالى من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل مُقْبِل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولًا الجنة فيقول : أى رب ، اصرف وجهى عن النار فإنه قد قَشَبَنِى ريحها وأحرقنى =

= ذكاؤها فيدعو اللّٰه ما شاء أن يدعوه ، ثم يقول اللّٰه تبارك وتعالى : هل عسيت إن فعلتُ ذلك بك أن تسألَ غيره ؟ فيقول : لا أسألك غيره ، ويُعطى رَبَّه من عهود ومواثيق ما شاء اللّٰه ، فيصرف اللّٰه وجهه عن النار ، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء اللّٰه أن يسكت ، ثم يقول : أى رب ، قدمنى إلى باب الجنة . فيقول اللّٰه له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألنى غير الذى أعطيتك ؟ ويلك يا ابن آدم ! ما أغدرك !! فيقول : أى رب ، ويدعو اللّٰه حتى يقول له : فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا ، وعزتك فيعطى ربه ما شاء اللّٰه من عهود ومواثيق ، فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة ، فرأى ما فيها من الخير والسرور ، فيسكت ما شاء اللّٰه أن يسكت ، ثم يقول : أى رب أدخلنى الجنة ، فيقول اللّٰه تبارك وتعالى له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ! فيقول : أى رب ، لا أكون أشقى خلقك ، فلا يزال يدعو اللّٰه حتى يضحك اللّٰه تبارك وتعالى منه ، فإذا ضحك اللّٰه منه قال : ادخل الجنة ، فإذا دخلها قال اللّٰه له : تَمَنَّهْ ، فيسأل ربه ويتمنى . حتى إن اللّٰه ليذكِّرهُ : =

= مِنْ كذا وكذا ، حتى إذا انقطعت به الأمانى قال اللّٰه عز وجل : ذلك لك ومثله معه .

قال أبو سعيد : وعشرة أمثاله معه يا أبى هريرة ، قال أبا هريرة : ما حفظت إلا قوله : ذلك لك ومثله معه . قال أبو سعيد : أشهد أنى حفظت من رسول اللّٰه ﷺ قوله : ذلك لك وعشرة أمثاله . قال أبو هريرة : وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولًا الجنة »[1] .

وعن أبى سعيد الخدرى « أن ناسًا فى زمن رسول اللّٰه ﷺ قالوا : يا رسول اللّٰه هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول اللّٰه ﷺ : نعم ، قال : هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول اللّٰه ، قال : ما تضارون فى رؤية اللّٰه تبارك وتعالى يوم القيامة ؛ إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أَذَّنَ مؤذِن : لِيَتْبَعَ كلُّ أمةٍ ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير اللّٰه سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد اللّٰه من بر وفاجر وغُبَّرِ أهل الكتاب[2]=

(١) أخرجه البخارى [٨٠٦] ، ومسلم [٢٩٩/١٨٢] واللفظ له .
(٢) أى : بقاياهم ، جمع غابر

= فيُدْعَى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عُزَيْرًا ابن اللَّه ، فيقال : كذبتم ، ما اتخذ اللَّه من صاحبة ولا ولد ، فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا فاسقِنا ، فيُشَارُ إليهم : ألا تَرِدُون ؟ فيُحشرون إلى النار كأنها سراب يَحْطِمُ بعضُها بعضًا ، فيتساقطون فى النار ، ثم يُدْعَى النصارى ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن اللَّه ، فيقال لهم : كذبتم ، ما اتخذ اللَّه من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم : ماذا تبغون ؟ فيقولون : عطشنا يا ربنا فاسقنا ، قال فيشار إليهم : ألا تَرِدُون ؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يَحْطِمُ بعضها بعضًا ، فيتساقطون فى النار . حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد اللَّه من برّ وفاجر ، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى فى أدنى صورة من التى رأوه فيها ، قال : فما تنتظرون ؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ باللَّه منك لا نشرك باللَّه شيئًا - مرتين أو ثلاثًا - ، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفوه بها ؟ فيقولون : نعم ، فيُكْشَفُ عن ساق ، فلا يبقى من كان يسجد للَّه من تلقاء نفسه إلا أذن اللَّه له بالسجود ، ولا يبقى من كان=

= يسجد إتقاءً ورياءً إلا جعل اللَّه ظهره طبقةً واحدة كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه ، ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة ، فقال : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، ثم يضرب الجسر على جهنم ، وتَحِلُّ الشفاعة ، ويقولون : اللهم سلم سلم ، قيل : يا رسول اللَّه ، وما الجسر ؟ قال : دَحْض مَزَلَّة ، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والرِكاب ، فناجٍ مُسَلَّم ، ومخدوش مُرسَل ، ومكدوس فى نار جهنم ، حتى إذا خلص المؤمنون من النار ، فوالذى نفسى بيده ، ما منكم من أحد بأشد مناشدة للَّه ، فى استقصاء الحق من المؤمنين للَّه تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عَرَفْتُم ، فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ، ثم يقولون : ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به . فيقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينارٍ من خير فأخرجوه ، فيُخرجون خلقًا كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نَذَر فيها أحدًا ممن أمرتنا . =

= يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فيقولَنَّ : ألم أبعث إليك رسولًا فيبلغك ؟ فيقول : بلى ، فيقول : ألم أعطك مالًا وأُفضِل عليك ؟ فيقول : بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم .

قال عدى : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة » ، قال عدى : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى ابن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبى أبوالقاسم ﷺ يخرج ملء كفه »(1) . وقرأ أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ . فقالوا : ما الزيادة يا خليفة رسول الله ؟ قال : « النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى » .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى فى جنته .

وقال حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه : الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى . =

(1) أخرجه البخارى [3595] .

= وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم : الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل .

وقال معاذ بن جبل : يحشر الناس يوم القيامة فى صعيد واحد فينادى : أين المتقون فيقومون فى كنفٍ واحد من الرحمن ، لا يحتجب الله منهم ولا يستتر ، قلت : من المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله فى العبادة فيمرون إلى الجنة .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت .

وقال أبو موسى الأشعرى : وكان يحدث الناس ، فشخصوا بأبصارهم فقال : ما صرف أبصاركم عنى ؟ قالوا : الهلال ، قال : فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله جهرة .

وقال مالك بن أنس : الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم .

وقال عبد الله بن المبارك : ما حجب الله عنه أحدًا إلا عذبه ثم قرأ : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المطففين] . =

إذن .. فهناك فى الجنة مراتب ارتقائية .

وليعلم المؤمن الطامع فى رضى الله تعالى ورضوانه أنه سبحانه وتعالى : ﴿ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ١٥] أى : أن الله سيعطى كل إنسان على قدر طاعته لمنهج ربه ، فمن أطاع الله رغبة فى النعيم بالجنة يأخذ جنة الله ، ومن أطاع الله طلبًا لرضوانه سبحانه ، ولأنه أهل لأن يطاع فإن الله سبحانه

= قال ابن المبارك : بالرؤية .

وقال الشافعى فى قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ : لما حجب هؤلاء فى السخط ، كان فى هذا دليل على أن أولياءه يرونه فى الرضا ، قال الربيع : فقلت : يا أبا عبد الله وتقول به ، قال : نعم وبه أدين الله ، ولو لم يوقن محمد ابن إدريس أنه يرى الله عز وجل لما عبده .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : لما قيل له : تقول بالرؤية ؟ فقال : من لم يقل بالرؤية فهو جهمى .

وقال : من قال أن الله لا يُرى فهو كافر .

وقال أبو عبد الله : إذا لم نقر بما جاء عن النبى ﷺ ودفعناه ، رددنا على الله أمره ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر : ٧] . =

يمتعه بلذة النظر إلى وجهه الكريم ، ويروى أن السيدة رابعة العدوية وهى من الطائعات القانتات قالت فى هذا المعنى : « اللهم إن كنت تعلم أنى أعبدك خوفاً من نارك فأدخلنى

= وقال ابن خزيمة : إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد ، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين .

وقال أبو عبد الله بن بطة : سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب اللغة يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبًا ، يقول فى قوله تعالى : ﴿ ... وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ... ﴿٤٤﴾ ﴾ أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٧٧] .

وقال فى حق الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [البقرة : ١٧٤] . فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين ، يكانوا فى ذلك هم وأعداؤه سواء ولم يكن فى تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلًا .

فيها ، وإن كنت تعلم أنى أعبُدك طمعاً فى جنتك فاحرمنى منها ، إنما أعبدك لأنك أهلاً لأن تُعبد فأنت خالقى وربى ، أنشد محبتك ورضوانك » .

وبالطبع فمن أحب اللَّه وأحبه اللَّه ورضى عنه ، أعطاه كل ما يتمناه . وأسكنه أعلى الجنان .

إذن .. فمعنى أن اللَّه سبحانه وتعالى ﴿ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ أى : سيعطى كل عبد على قدر حركته ونيته فى الحركة ؛ فالذى أحب ما عند اللَّه من النعمة فليأخذ النعمة ويفيضها اللَّه عليه . أما الذى أحب اللَّه وإن سلب منه النعمة ، فإن اللَّه يعطيه العطاء الأوفى ، وذلك هو مجال مباهاة اللَّه لملائكته ، ومن أقوى دلائل الإيمان وكماله ، إيثار محبة اللَّه ورسوله على كل شىء فى الوجود .

وفى الحديث عن النبى ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : مَن كان اللَّه ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا للَّه ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه اللَّه منه كما يكره أن يُقْذف فى النار »[1] .

---

(١) أخرجه البخارى [١٦] ، ومسلم [٤٣/٦٧] واللفظ له عن أنس رضى اللَّه تعالى عنه .

وإن أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الأمثل فالأمثل[1]. لماذا ؟ لأن ذلك دليل صدق المحبة . والإنسان عادة يحب من يُحسن إليه ، ولا يحب من تأتى منه الإساءة ، إلا إن كانت ممن له منزلة عالية كبيرة . ويكون مطمئناً إلى حكمته ، ويعلم أنه ابتلاء سوف يعطيه عليه ثوابًا جزيلًا وأجرًا كبيرًا .

ولسائل أن يسأل كيف نرى اللَّه تعالى وهو سبحانه لا تدركه الأبصار ؟ نقول إن اللَّه سبحانه وتعالى برحمته أعطانا فى الحياة الدنيا ما يقرب لنا الغيب ، فنحن لا نرى اللَّه فى الدنيا ، لأن بصرنا لا يصلح لهذه المهمة حتى نؤمن بالغيب ، أما فى الآخرة فاللَّه يغير فى خلقه ما يشاء ، وإذا كان هذا يحدث فى الدنيا ، فأنا أشعر بضعف فى نظرى فأذهب إلى الطبيب فيطلب منى استخدام نظارة أو إجراء عملية جراحية ،

---

(١) جزء من حديث رواه الحاكم فى المستدرك [٤١/١] وقال حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى ، ، والترمذى [٢٣٩٨] ، وابن ماجه [٤٠٢٣] . وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [١٩٥٦] .

فأرى مالم أكن أراه ، لأن النظارة قد زادت من قدرتى على الرؤية ، إذا كان هذا ما بصنعه المخلوق للمخلوق .. شيئاً يخرج عينه عن قانونها إلى قانون آخر ، فكيف بنا يوم القيامة وقد تغير فينا ما تغير بقدرة اللّه سبحانه وتعالى ، ألايكون ممكنا أننى سأرى بقوانين أخرى غير القوانين الدنيوية .

إن الخطأ أن يقيس الناس قانون فترة من فترات الحياة بقانون فترة أخرى منها ، فكل فترة لها قوانينها ، فنحن فى عالم الذر لنا قوانين تحكمنا ، فإذا انتقلنا إلى الحياة الدنيا لنا قوانين أخرى ، وفى حياة البرزخ بعد الموت لنا قوانين نخضع لها ، وعند البعث لنا قوانين أخرى ، وفى الجنة أو فى النار هناك قوانين أخرى .. منها قانون الأبدية مثلًا .. هو أننا لا نموت وتكون حياتنا فى شباب دائم .. إلى آخر هذه القوانين ، بل إن الإنسان وهو نائم له قوانين تختلف عنها فى حالة اليقظة ، ولذلك فإن رسول اللّه ﷺ يلفتنا إلى ذلك فيقول : « واللّه إنّكُم لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ ولَتُبعَثُنَّ كما تَسْتَيْقِظُونَ » (1) .

(1) ذكر القرطبى فى تفسير الآية [٤٢] من سورة الزمر قال : « عن النبى ﷺ قال : كما تنامون فكذلك تموتون ، وكما توقظون فكذلك تبعثون » .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ [آل عمران : ٧٧] .

وقال فى حق الذين يكتمون ما أنزل اللّه من البينات والهدى ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [البقرة : ١٧٤] فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين ، لكانوا فى ذلك هم وأعداؤه سواء ولم يكن فى تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلًا .

وتقدم حديث أبى هريرة فى سوق الجنة وقول النبى صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم : « ولا يبقى أحد فى ذلك المجلس إلا حاضره اللّه محاضرة ، فيقول : يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا » الحديث .

وتقدم حديث عدى بن حاتم : « ما منكم إلا من سيكلمه ربه يوم القيامة » ، وحديث أبى هريرة فى الرؤية وفيه : « يقول الرب تبارك وتعالى للعبد ألم أكرمك وأسودك » الحديث .

وحديث أنس فى يوم المزيد ومخاطبته فيه لأهل الجنة مراراً .

وبالجملة فتأمل أحاديث الرؤية تجد فى أكثرها ذكر التكليم .

قال البخارى فى صحيحه : « باب كلام الرب تبارك وتعالى =

= مع أهل الجنة » وساق فيه عدة أحاديث .

فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم ، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذى ما طابت لأهلها إلا به . والله المستعان .

عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنة دخولًا الجنة ، رجل يخرج من النار حبوًا ، فيقول الله تبارك وتعالى له : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملأى ، فيقول الله تبارك وتعالى له : اذهب فادخل الجنة ، قال فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملأى ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها - أو إن لك عشرة أمثال الدنيا - قال فيقول : أتسخر بى أو أتضحك بى وأنت الملك ؟ - قال لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ، قال فكان يقال : ذاك أدنى أهل الجنة منزلة »[1] . =

(1) أخرجه البخارى [٦٥٧١] ، ومسلم [٣٠٨/١٨٦] .

= وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة ، وتسفعه النار مرة ، فإذا ما جاوزها التفت إليها ، فقال : تبارك الذى نجانى منك ، لقد أعطانى الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين ، فتُرفع له شجرة فيقول : أى رب ، أَدْننى من هذه الشجرة فلأستظل بظلها ، وأشرب من مائها ، فيقول الله عز وجل : يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها ، فيقول : لا يارب ، ويعاهده أن لا يسأله غيرها ، وربه يعذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ، ثم تُرفع له شجرة هى أحسن من الأولى ، فيقول : أى رب ! أدننى من هذه لأشرب من مائها واستظل بظلها لا أسألك غيرها ، فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها ، فيقول : لعلى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها ؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأولين ، فيقول : أى رب أدننى من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها ، فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها ؟ قال : بلى . يارب =

= هذه لا أسألك غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها ، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة ، فيقول : أى : رب أدخلنيها ، فيقول : يا ابن آدم ما يَصْرينى منك ؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ قال : يارب أتستهزىء منى وأنت رب العالمين ؟ »

فضحك ابن مسعود فقال : ألا تسألونى مم أضحك ؟ فقالوا : مم تضحك ؟ قال : هكذا ضحك رسول الله ﷺ ، فقالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : من ضحك رب العالمين حين قال : أتستهزئ منى وأنت رب العالمين ؟ فيقول : إنى لا أستهزئ منك ولكنى على ما أشاء قادر »[1] .

ooo

(١) أخرجه مسلم [٣١٠/١٨٧] .

عن عبد الله بن عبيد بن عمير رضى الله تعالى عنه أنه سمع أنس بن مالك يقول : « أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها وَكْتَة إلى النبى ﷺ فقال النبى ﷺ : ما هذه ؟ قال : الجمعة فُضِّلت بها أنت وأمتك ، فالناس لكم فيها تبع ، اليهود والنصارى ، ولكم فيها خير ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له ، وهو عندنا يوم المزيد ، قال النبى ﷺ: يا جبريل وما المزيد ؟ قال : إن ربك اتخذ فى الفردوس واديًا أفْيَح ، فيه كُثُب المسك ، فإذا كان يوم الجمعة ، أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين ، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب ، مكللة بالياقوت والزبرجد ، عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثبان ، فيقول الله تعالى : أنا ربكم قد صدقتم وعدى فسلونى أعطكم ، فيقولون : ربنا نسألك رضوانك ، فيقول : قد رضيت عنكم ولكم على ما تمنيتم ، ولَدَىَّ مزيد . فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير ، وهو اليوم =

= الذى استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام وفيه تقوم الساعة »(١) .

○○○

(١) رواه الشافعى فى مسنده [بدائع المنن ٤٢٢ ١/١٤٨] ، وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب [٤١٢٩/١٠٢٥و١٠٢٨] ثم قال : رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الأوسط بإسنادين أحدهما جيد قوى ، وأبو يعلى مختصراً ورواته رواة الصحيح والبزار ا.هـ .
وذكر ابن كثير فى نهاية البداية والنهاية [٣٠٩/٢] حديث أنس عند الشافعى والبزار وأبى يعلى ثم قال : وهذه طرق جيدة عن أنس ، ونقل أيضًا قول الحافظ الضياء : وقد روى من طريق جيد عن أنس بن مالك . ا.هـ باختصار وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب [٢٩١/١١٦٩٤] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٤٠] .

وبذلك نعرف من هم الذين لا تفتح لهم أبواب السماء ، وبطبيعة الحال نعرف أن المقابلين لهم هم الذين تفتح لهم أبواب السماء ، إنهم المؤمنون ، وحين تصعد أرواحهم إلى الملأ الأعلى تجد أعمالهم الصالحة تصعد وترتفع بهم إلى أعلى .

أما المكذبون فهم لا يترقون بل يهبطون ولا يدخلون الجنة ، وقد جعل الله سبحانه دخول الجنة لهؤلاء المكذبين بمستحيل عقلاً وعادة وطبعاً وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف : ٤٠] .

و ﴿ سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ هو ثقب الإبرة ، أى الذى تدخل فيه فتلة الخيط ، ولا تدخل فتلة الخيط فى الثقب ، إلا أن يكون قطر الفتلة ، أقل من قطر الثقب ، وأن تكون الفتلة من الصلابة بحيث تنفذ ، وأن تكون الفتلة غير مستوية الطرف ؛ لأنها إن

كانت مقصوصة وأطرافها مستوية ، فهى لا تدخل فى الثقب ؛ لذلك نجد الخياط يجعل للفتلة سناً ليدخلها فى ثقب الإبرة .

وحين نأتى بالجمل ونقول له : ادخل فى سم الخياط ، فهل يستطيع ؟ بالطبع لا ؛ لذلك نجد الحق سبحانه قد جعل دخول هؤلاء الجنة معلق على مستحيل .

بعض الناس قالوا : وما علاقة الجمل بسم الخياط ؟

نقول : إن الجمل يطلق أيضاً على الحبل الغليظ المفتول من حبال ، مثل حبال المركب ، وهو حبل سميك مجدول .

حتى أن الشعراء منهم من يصف انشغاله بالحبيب وشوقه إليه وصبابته به حتى يهزل ويستبد به الضعف فيقول :

ولو أن ما بى من جوى وصبابة على جمل لم يدخل النار كافر .

إن الجوى والصبابة التى يعانى منهما هذا الشاعر ، لو أصيب بهما الجمل فلسوف ينحف ويهزل ، إلى أن يدخل فى سم الخياط ، ونفهم إذن من قول الله سبحانه ، إنه: إن دخل الجمل فى سم الخياط فسوف يدخل الكفار الجنة .

○○○

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة